الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥٠ الخميس ١٤ شوال ١٣٨٣ هـ ـ ٢٧ فبراير ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

أنا ورءوف "بك" والأطباء

بقلم أحمد حسن الزيات

استطابت السكنى في جسدي الضعيف طائفة من أمراض الشيخوخة وأبت أن ترحل ، وحاولت أن أحملها على (الإخلاء) بالحيلة أو بالدواء فلم تفعل . وآل الأمر بيني وبينها إلى قبول (التعايش السلمي) فلا أسعى لإخراجها من جسمي ، ولا تعمل هي لإخراجي من دنياي ، وتركنا تطبيق هذا المبدأ لحكمة السادة الأطباء .. ولكن أي الأطباء أصلح لهذا التطبيق ؟ أهم الأطباء المتخصصون أم الأطباء العامون ؟ أأذهب لعلاج كل منها إلى الطبيب الذي تخصص فيها فقرأ أكثر ما كتب عنها ، وفحص أكثر من أصيب بها ، وجرب أكثر ما وصف لها ، أم أذهب لعلاجها جميعا إلى طبيب باطني واحد يستطيع بخبرته العامة أن يصالح بين الأدواء ويوفق بين الأدوية حتى لا يطغى داء على داء ، ولا يتعارض دواء مع دواء ؟

أنا من أنصار التخصص لأنه النظام الذي يلائم طبيعة العصر ويوائم حقيقة العلم ، ولا يرضيني من الطبيب اليوم أن يكون كما كان ابن سينا طبيبا في كل فروع الطب ، حكيما في كل فنون الحكمة ، عالما بكل ضروب العلم ، فإن العلم وإن ضاق أوسع من أن يحيط به عالم ، والعمر وإن اتسع أضيق من أن يكمل فيه علم . والذي يأخذ من كل شيء بطرف هو الأديب ، لا العالم ولا الطبيب . لذلك كان لي عند كل طبيب متخصص ملف ، وكان عندي لكل مرض معين تذكرة . ومع ذلك فإن جسمي ـ والحمد

لـله على كل حـال ـ يذوب ولايثوب ، وصحتى تتاخر ولاتتقدم !!

ستـ:ـول لى وعلى لسـانك لهجة الانكار : (لعلك قصرت فى تعاطى الدواء ، او خـرجت على نظـام الغذاء ، او خالفت عن امر الطبيب) فاقول لك وعلى لسـانى يمين الله : انى لم اغفل الدواء يوما ، ولم اشذ عن النظام ابدا . وانما كنت اطوع لكل طبيب واتبع لكل نظام من رءوف بك) .

وللسـيد رءوف بك مع السـادة المتخصصين قصة طويلة قرأتها او سمعتها منـذ بعيد ، وساقصـها عليك وان لم يبق فى ذاكرتى منها الا الهيكل :

كان رءوف بك من ابناء الذوات فى عهد الاقطاع ، وكان له كهـؤلاء المترفين المتعطلين بالوراثة حظيرة للسيارات من كل طراز ، واصطبل للخيول من كل سلالة ، ومطبخ لاتنطفىء مواقده فى نهار ولا ليل ، **ولكنه كان كسولا لايمشى ولا يركب ولا يرتاض .. وكانت هوايته المفضلة أن يدمن الاكل ادمان التعاج، فهو يستيقظ ليـاكل ، وياكل لينـام ، حتى تراكب اللحم عليه ، وتراكم الشحم فيه ، وبلغ وزنه الصافى مائتين وسبعين رطلا ! ثم تنبه من طول مانداعب الرفاق على بدانته الى ان الارستقراطية تستوجب الهندام المحكم على القد الرشيق ، وان الرقص يتطلب البطن الضـامر والخصر الهضيم ، ففزع الى ابن ذوات من اصحابه هوايته ان يعرف جميع الاطبـاء المتخصصين باسمائهم وعناوينهم** ، لا لأنه مسقام متنوع العـلل ، ولكن لانه ارسـتقراطى ، ولـكل ارستقراطى هواية ما ، فهـذا هوايتـه ان يقتنى الثعابين او القطط . وذاك هوايته ان يجمع الطوابع او الامضـاءات ، وذلك هوايتـه ان يحفظ طرز السـيارات او انواع الخمـور . وكل ارسـتقراطى يستعين باخيه فيما تخصص فيه .

قال رءوف لصاحبه . اريد ان (اخس) فدلنى من فضلك على الطبيب المختص .

فقال له صاحبه وهو يربت بحنـان على كتفـه الضخم : عظيم !! اذهب الى الدكتور طاهر فى شارع عماد الدين رقم كذا تر منه مايرضيك .

ذهب رءوف الى ذلك الدكتور ففحصه ، ثم سن له نظـاما علاجيـا اظهر مافيـه ان يمشى كل يوم ساعتين فى الصباح وساعتين فى المساء . وكان العلاج شافيا . فقد نقص وزنه فى ستة اسابيع خمسـة وعشرين رطلا . غير انه أحس فى آخر المدة ان قدميه اخذتا تضـعفان حتى عجزتا عن حمله ، فلجـا الى صاحبه الخبير يشكو اليه وجعه الجـديد ، فدله على الدكتور عزت ، وهو متخصص فى علاج هـذا النوع من الامراض بحمامات قدمية يجعلها من الطين الحر المخفف بالماء .. وظل رءوف ثلاثة اشهر يضع قدميـه فى هـذا الوحـل كل يوم حتى زال الوجع وذهبت العلة وعادت الى القدمين قدرتهما الاولى على حمل الجسـد الشـحيم . وذهب رءوف الى صاحبه يشكره ويحمد اليه الله الذى شفى قدميه من هذا الداء الثقيل الذى ربطه بالسرير تسـعين يوما ، ولولا ان به الما فى حلقه لما كان لديه مايشكوه .

لقد اصابه من طول ما غمس قدميـه فى الطين الرقيق الم فى الحنجرة . ورأى صديقه الطبيب ذلك فقال له : لاباس ! ان زيارة واحدة للدكتور شوقى المتخصص فى امراض الانف والاذن والحنجرة كفيلة بان تمسح مابك .

وفحص الدكتور شوقى بدقته المثالية حنجرة رءوف فراى ان اكثر امراض الحلق انما تنشأ من ضعف الدورة الدموية فى الحلقوم فقرر ان يقويها بجلسات كهربائية . واستمر المسكين يكابد هـذا العلاج الممل بصبر المؤمن وتفويض المتوكل شهرين كاملين سكن فيهما الالم وزالت البحة ، ولكنه كان وا اسـفاه من اسرة تتوارث علة عصبية خاصـة ساعدتها الكهرباء على ظهورها فيه ، فاعترته نوبات شديدة كاد بعضها يهجم به على الخطر ، واخـذت تعتاده هذه النوبات المزعجة حتى زاره صديقه فقال

له متعجبا : ماالذى يحبسك عن العلاج ؟ اراضانت من هذه الحال ؟ هلم باخي الى الدكتور وديع المتخصص فى الامراض العصبية تتفرج عنك هذه الأزمات فى اسرع مما تظن .

ورآه الدكتور وديع فوصف له عقار البرومور - والبرومور - كما يقول علماء الاقرباذين ليس بينه وبين المعدة وفاق : هو يضعفها ويتلفها ، وهى لاتتحمله ولاتقبله . لذلك اصبح رءوف بعد شهر من العلاج ممعودا يشكو عسر الهضم وفقد الشهية وفساد الجوف . والممعود لابد ان يذهب من تلقاء نفسه الى الدكتور فوزى المتخصص فى امراض المعدة من جامعة برلين ، ولاتجد اكولا من عشاق الطعام الدسم المتبل لايعرف عيادته .

استلقى رءوف على ظهره فوق سرير الفحص واسلم بطنه المنتفخ الى يدى الطبيب فجعل يجس وينقر ويتسمع ويسال . ثم كتب له تذكرة بما يشرب ويستحلب ويبلع ويحقن . واوصاه ان يقال من اكل اللحوم ومن شرب السوائل ، وان يجعل قوام غذائه النشويات المهروسة كعجائن البطاطس والفاصوليا والبسلة ، وان يلزم هذا العلاج شهرا . فكانت النتيجة الحسنة لهذا النظام الدوائى الغذائى ان عادت لمعدته قوتها الطاحنة الاولى . اما النتيجة السيئةفكانت امتلاءبدنه بالشحم ، وانتفاخ بطنه من السمن ، حتى زاد وزنه على ثلاثة قناطير وذلك من افراطه فى التهام النشويات المعجونة ليعوض بها ماحرمه من سائر المواد ، فعاد رءوف يفكر فى تخليص جسمه من ثقل ماتراكم عليه ،فلجا الى صديقه الناصح يستفيد من خبرته مرة اخرى فيما فكر فيه . ولم يكد يفضى اليه بما شغل باله من فحش سمنه ورهل بدنه حتى قال له : اطمئن يارءوف ! ساذهب بك الى متخصص آخر يجعلك فى زمن قريب اشبه بلوريل لا بهاردى . فقال له : اخشى اذا انا عدت الى الطبيب ان يعود هو الى العلاج بالمشى الطويل فتثقل قدماى ، ثم تلتهب حنجرتى ، ثم تضطرب اعصابى ، ثم تفسد معدتى ، ثم يزيد وزنى !

فقال له الصديق : لاتخش ان يتكرر ماوقع . فان الطبيب الذى سنذهب اليه اليوم متخصص فى علاج السمن بالركوب لا بالمشى : يعالجه بركوب الخيل . ولاتظنه كالمتخصصين الآخرين يكتفى بأن يقول لك : خذ اى فرس من الاصطبل واركبه شوطا أو شوطين فى طريق الاهرام أو فى طريق الماظة . لا ، لا . انه يكتب لك تذكرة فى اثنتى عشرة صفحة من القطع الكبير يدون فيها النظام الذى يجب ان تتبعه : يبدأ بشكل اللباس الذى ترتديه . وبوصف الحصان الذى تنتقيه . ثم يحدد لك ساعة الخروج ومدة الركوب ومسافة الشوط . ثم يذكر على وجه الدقة متى تنتقل من السير الى الهملجة ، ومن الهملجة الى العدو ، ومن العدو الى الحضر . وكل ذلك فى شرح بين وتفصيل محكم .

وذهب رءوف مع صديقه الى عيادة الدكتور الهامى ورجع من عنده بتلك التذكرة .

***

وفى صباح اليوم التالى دخل غرفةالثياب فاختار اللباس المناسب ، وانتقل الى اصطبل الخيل فانتقى الحصان المطلوب ، واخذ يزاول التمرين علىالوجوه التى رسمتها التذكرة . **ولم يمض على ركبته الاولى ثلاثة ايام حتى كان وزنه قد نقص اربعة وثلاثين رطلا !**

نتيجة مدهشة ، وعلاج ناجح ونجاح عظيم !!

ولكن أتدرى كيف نقص وزنه هذا النقص الكبير فى هذا الزمن القصير ؟

. لم يكد رءوف ينطلق بالجواد حتى سقط منفوق صهوته سقطة شديدة كان من جرائها ان بترالجراح ساقه ، وهى تزن اربعة وثلاثين رطلا بالتمام والكمال !!

احمد حسن الزيات

الإيمان بالله قوة دافعة موجهة

للأستاذ محمد محمد المدني

إن أساس الروحية في الاسلام ليس هو انكار الجانب المادي في الانسان ، او مقاومته ، او اضعافه ، فما كان الله ليخلق هذا النوع البشري مكونا من المادة والروح ، ثم يامر بهدم احد جانبيه ، أو يرمى الى اضعافه .

ولكن الروحية في الاسلام اساسها وعرضها سياسة الانسان سياسة توجيهية من قبل الجانب الروحي فيه ترمى الى الموازنة بين عنصرى تكوينه ، فهو يعطى الروح حقها ، ويعطى المادة حقها معدلا بينهما تعديلا به تصلح الحياة ، ويستطيع الانسان ان يؤدي رسالته فيها .

وسياسة الانسان ، او قيادته ، من جانب الروح فيه ، هي سياسة ناجحة ، ودائمة ، وفعالة ، اكثر من سياسته من جانب المادة .

ان الانسان ليس حيوانا يقاد بالخطام او اللجام ، ويغرى بالشراب والطعام . ولو حاول محاول ان يقيم سياسته على هذا الاساس ، فربما ينجح الى حين ، ولكنه نجاح لا يدوم ، وانما النجاح الدائم حين يتجه به الى جانب الروح دون أن ينسى الجانب المادي .

وهذا هو السر في انجميع الروحيات في الاسلام، لها قوة توجيهية مؤثرة في جوانب الحياة ، باعثة للانسان ، غير مثبطة ولا معوقة ، وفي ان مادية الانسان في نظر الاسلام لا تنفك عن روحيته ، وروحيته لاتنفك عن ماديته ، وفي ان الاسلام واقعي في مثاليته ، مثالي في واقعيته .

* * *

والجانب الروحي في الانسان يرتكز على دعائم ، لكل دعامة منها فلسفتها ، وتوجيهها ، وايحاؤها ، ودورها التهذيبي . .

ومن حق هذه الدعائم ان نقف عند كل منها وقفة تحليلية :

« الدعامة الأولى — الايمان بالله »

● تدل الدراسات النفسية على ان الارادة تخضع الى حد بعيد للقوة العقلية ، وتصطبغ في الناس بصبغتها ، فاذا اقتنع العقل بشيء وآمن به، وجه الارادة اليه ، وبعث الرغبة فيه ، فكان هذا الاقتناع هو القوة المحركة العاملة على وجود هذا الشيء أو على بقائه ، ولذلك يحرص اصحاب الدعوات دائما على مخاطبة العقول واقناعها بما يريدون ، لانها متى اقتنعت استجابت ،ومتى استجابت كانت العزيمة ، فالارادة ، فالعمل ، ولا تجد الحذاق منهم يرمون الى التسلط بالقوة ، والاعتماد عليها ، فان القوة قد تفلح في فرض شيء ما ؛ ولكنها لا تستطيع ان تكفل له بقاء مستقرا مثمرا مهما كان مداها وتأثيرها .

ومن ثم كانت الاديان ذات تاثير قوى لا يغالب ، ذلك بانها تصل بعقائدها وما تبثه في العقول والقلوب الى تكوين ايمان قوى تثير به العزائم اثارة قوية فعالة مكتسحة .

وعلى العكس من ذلك : اذا فرضنا ان شيئا ما ، لم يظفر بالعقيدة القلبية ، والاقتناع النفسي ، فانه لا يجد الارادة الصادقة ،، ولا العزيمة الثابتة ، فاما ان يظل في طي العدم ، واما ان يبرز عن طريق غير المؤمنين به ، فيكون ضعيفا او ضئيلا ، ولا يكون له الرسوخ والقرار .

واذن فالمجتمعات التي يتقرر فيها مبدأ « الاعتقاد» هي المجتمعات التي تاخذ باهم ركن من اركان الجدية والعمل المثمر ذي القيمة الذاتية التي تجعله نافعا ، وتجعله ثابتا باقيا .

هذا شان العقيدة ايا كانت ، لا نقصد العقيدة الدينية ، بل نقصد كل عقيدة يعتقدها الانسان فتدفعه الى العمل ، وتجعله قوة فاعلة ، بعد أن كان قوة قابلة ، او صالحة ، او كامنة .

اما اذا انتقلنا من نطاق عقيدة ما ، الى نطاق عقيدة دينية ، فاننا نقول : **ان الانسان محدود في**

عقله وعلمه ، ان عقـــله يكتشف كل يوم جـديدا ويكتشف فى كل يوم انه قاصر محدود ، ويعرف ان هناك اشياء كثيرة لا يدركها ولا يستطيع ان يحلق فى جوها ، او يخوض غمارها .

والعلم ايضا شأنه هو هذا الشأن : له فى كل يوم جـــديد ، وهو كل يوم فى تقلب وتحول ، فكم من مقررات علمية آمن بها الناس ثم عادوا فكفروا بها ، وكم من مقررات كانت تظن ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ثم نقضت من اساسها ، وكان الذى قررها هو العلم ، والذى نقضـــها هو العلم .

ولا اريد بذلك ان اهون من شأن العقل والعلم ؛ ولكن اريد ان اكون مع العقل والعلم الى ابعد حد. فأقول : **ان العـــلم والعقل كليهمـا يدلان على ان الانسان محدود ، وانه محاط بالمجهولات الكثيرة التى لم يستطع ان يقتحمها** ، فأول عقيدة يفرضها العقل والعلم على العالم العاقل هى ان يعتقد ذلك ، فاذا اعتقد أنه محدود ، وان علمه محـــدود ، آمن ايمانا قويا — لا ينافى علمه ولا عقله — بأن وراء حدوده علوما اخرى ، وحقائق اخرى ، ولم يستطع ان يقف مما يدعو اليه الدين الا موقف الانصاف.

* * *

واول مايدعو اليه الدين **هو الايمـــان بالله . الايمان بخالق ومبدع لهذا الكون العجيب الذى لا يمكن ان يوجد على سبيل المصادفة والاتفاق** ، لان تفاصيله الدقيقة ، وتراكيبه التى لا تقف عند حد ، تعلو على المصادفة وتجعـل القول بها امام العقول خرافة من الخرافات

● **والاسلام له فى تعريفك بالله ، اسـلوب عملى ذو توجية ودفع :**

— فهو يقول لك : **لا تحاول ان تعرف الله من** ناحية ادراك كنهه ، والكشف عن حقيقة ذاته لأن ذلك (اولا) غير ممكن ولا هو فى طاقتك كانسان و (ثانيا) من شأنه ان يشغلك ببحوث نظرية كثيرة لا تكاد تنتهى ، فيضيع وقتك وجهـدك ، دون ثمرة تجتنيها .

— وانما عليك ان تأخذ فى شأن الله جل وعلا بهذا القانون الوقائى الذى وضعه هو : **«ليس كمثله شيء»** وان تقول كلما حاول واصف ان يصفه بما لا يليق **« سبحان ربك رب العزة عما يصفون »** .

— ثم عليك ان تعرف الله من جانب صـــفاته وتصرفاته ، وان تحدد صلتك به من جهة ما يجب عليك ان تفعله او ان تتركه فى حياتك ، باعتباره الهك وخالقك ومعبودك ، وباعتبارك عبده ومخلوقه وعابده .

— انك بذلك تعرف ربك حقا ، وترتب على هذا العرفان مقتضياته العملية فى حياتك ، وفى صلتك به ، وتنفى عن نفـــسك كل ما هو وهم او تخيـل لا اساس له من الصحة .

※ والاسلوب الذى وصفناه فى التعريف بالله ، هو اسلوب القرآن الكريم والسـنة المطهرة : فانه لم يرد فيهما اى حديث فيه تحديد للذات الالهية بل ان فيهما نهيا عن التفكير فى الذات ، وامرا بالتفكير فى آثار قدرة الله وصفاته .

وقد قص الله علينا ما كان من نقاش بين موسى عليه الســـلام وفرعون حين اعلنه بأنه مرسل من رب العالمين : **« قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله الا تستمعون ، قال ربكم ورب آبائكم الاولين ، قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين »**

لقد اراد فرعون ان يمكر بموسى ، وان يوقعه فى ورطة لاخلاص له منهـا ، **« قال فرعون ومارب العالمين »** سأل عن حقيقة رب العالمين ، لان السؤال بما لطلب الحقيقة ، فلو حاول موسى ان يجيبه عما سأل لحاول محالا ، وأثار على نفسه نقاشا وجدالا ، ولو سكت عن الجواب لبان عجزه ، ولقال له فرعون: انت رسول لمن لا تعرفه ، ولكن موسى رد على فرعون ردا حكيما : **« قال رب السموات والارض ومابينهما** ان كنتم موقنـــين » فكأنه قال له : ليس لك ان تسأل عن ذات الله وحقيقته ، فذلك فوق عقلك وفوق ادراكك وفهمك ، ولكن سل عن آثاره تعلم

انه رب كل شيء فى السماء والارض وما بينهما خلقا وتصريفا وحكما وعلما ، وهذا هو الجواب الحق ، **لان ذات الله تعالى يستحيل أن تعرف بالماهية ، فلم يبق الا ان يعرف الله بآثاره وافعاله ،** وقد تناسى فرعون ذلك لانه لا يريد الا المجادلة بالباطل : « **قال لمن حوله الا تستمعون ؟** » يعنى فلتعجبوا له ، انا اساله عن حقيقة رب العالمين وهو يجيبنى بنسبة الآثار اليه خلقا أو تصريفا ! وعندئذ عدل موسى الى جواب آخر : « **قال ربكم ورب آبائكم الاولين** » وفيه ايضا لفت لعدم امكان السؤال عن الذات مع انتقال الى بيان اثر آخر من آثار القدرة الالهية هو اقرب وضوحا من الأول ، لأن امر السموات والارض ربما اشكل على بعض العقول ، اما شعور العاقل بانه مخلوق متناسل من مخلوقين فهو اقرب قبولا وليس من السهل انكاره ، ولكن فرعون اصر على ان الجواب غير السؤال واشتد فى هذه المرة ما لم يشتد فى المرة السابقة : « **قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون** » أى فهو لا يفهم فضلا عن أن يجيب ، وهنا اجابه موسى بأثر آخر من آثار القدرة الالهية هو اشد الآثار وضوحا وجلاء : « **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون** » فالمشرق يشير الى طلوع الشمس ، وظهور النهار ، والمغرب يشير الى غروبها ومجيء الليل وهذان أمران دائمان مستمران لاشك انهما عن تدبير وقدرة من مدبر قادر .

وهنا عجزت حيلة فرعون فى استدراج موسى ، فخرج عن المناقشة الى التهديد بالقوة : « **قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين** » ..

فى هذا كله يظهر لنا مبلغ اصرار فرعون ، وهو المتكلم بلسان اهل الباطل والاضلال ، على اقتحام مالا يقتحم ، ومحاولة البحث عما لا سبيل الى معرفته ، ليتخذ ذلك سبيلا الى الفتنة والشك والقاء الريب فى النفوس المستعدة لذلك ، ويظهر لنا اصرار موسى وهو المتكلم بلسان اهل الحق والهداية على صرف الحديث عن ذلك المقتحم الصعب ، والاكتفاء بمعرفة الله عن طريق آثاره وآياته ، وهذه ولا شك سبيل المؤمنين ..

والخلاصة ان موقف الاسلام فى التعريف بالله ، يعتمد على التيسير ونفى التعقيد ، والبعد عن الفلسفات ، واحترام العقل الانسانى والسمو به عن ان يتورط فيما لا يفهم ، وتوفير جهده ووقته لما يصلح عليه امره ، وهو التفكير فى آثار القدرة ، والانتفاع بها عملا .

واذن نرى ان هذا الامر الروحى قد وجه الانسان من اقرب الطرق توجيها عمليا ، ولم تكن الغاية منه مجرد تقرير نظرية ليس لها اثر ايجابى .

* * *

وحين يتعرف الانسان الى الله عن طريق صفاته ، سيجد أن القرآن يصفه بمجموعة من الصفات هى المعبر عنها بالاسماء الحسنى « **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها** » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « **ان لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة الا واحدا ـ من احصاها دخل الجنة** »

ومن هذه الاسماء ما ورد فى ختام سورة الحشر :
« **هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور** »

ومن تتبع القرآن الكريم استطاع ان يأخذ منه كثيرا من الاسماء الحسنى مثل الرحمن . الرحيم . القدير . العليم . الحكيم . العظيم . الحليم . الودود . الحميد . المجيد . الوهاب . الباسط . القابض . الرقيب . الحسيب . وغير ذلك

وواضح ان قوله صلى الله عليه وسلم « **من احصاها دخل الجنة** » ليس معناه : من عدها ، او من حفظها ، او من تلاها ، ولكن معناه :

من وعاها وعى المؤمن بها ، المصدق بثبوت معانيها لله تعالى على وجه الكمال ، وهذا يقتضى درسها والتأمل فيها ، وتتبع مظاهر كل صفة منها فى هذا الكون ، والتخلق باخلاق الله فيها ، ولا شك ان من عنى بذلك ، ووفق اليه يصل به الى مرتبة من الايمان ومنزلة من اليقين تدفعه الى سلوك الصراط المستقيم الذى يفضى به الى الجنة ، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نجد المؤمن البصير بربه يتعلق باسمائه ، ويتعشقها ، ويرى فيها سلواه وهداه ، ويستمد من التأمل فيها قوة فى حياته ، تيسر له الصعاب ، وتهون عليه الشدائد ، وتدفعه الى القيام بما اقامه الله فيه دون تبرم أو تسخط أو ضعف .

ويلاحظ ان هذه الصفات ، او الاسماء الحسنى، مرتبط بعضها ببعض في مهمة التعريف بالله ، فلا ينبغي أن ينظر الى كل منها منقطعا عما عداه ، بل يجب اعتبارها خطوطا ونقطا متكافلة على بيان صورة لا يتم ادراكها الا اذا تضامت وتعاونت ـ والله أعلى واجل من أن يكون متصورا بصورة كالمخلوقين ، ولكنا نقول ذلك تقريبا للمعنى وبيانا للمراد .

وقد يدل على ذلك مجيء الاسماء الحسنى في القرآن الكريم متتابعة دون حرف عطف غالبا : **« وهو الغفور ، الودود ، ذو العرش المجيد » « الملك، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر » ... الخ**

فكان كل اسم هو قيد فيما قبله ، مقيد بما بعده ، وكأنها كلها صفة واحدة مندمجة من صفات .

* * *

وحين يتعرف الانسان الى الله عن طريق تصرفه في الكون ، يجد انه هو الخالق ، الرازق ، المنعم ، المحيى ، المميت ، المدبر ، ويجد القرآن الكريم يتحدث كثيرا عن مظاهر تصرفه وقدرته وحكمته ومشيئته ، فيقول :

« خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ، خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين ، هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »

● « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين، ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ، واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

● « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

● « والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون »

● « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج »

وبذلك يؤمن الانسان بربه عن طريق مشاهداته لتصرفاته ، وبدائع آياته ، واطراد قوانينه في الكون، ولهذا يتبع القرآن عادة كل مجموعة من هذه المظاهر والتصرفات بالاشارة الى خالقها ومصرفها ، وانه هو الذى يستحق أن يعبد ويوحد « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل »

* * *

وحين ينظر الانسان الى تحديد العلاقة بينه وبين ربه ، يجد أنه لا يكلفه الا بما فيه مصلحته ، وبما يكفل سعادته في الدنيا والآخرة ، وأنه يشرع تكاليفه في دائرة طاقته ، والرحمة به ورعاية مقتضيات بشريته ، وبذلك يحبه ، ويحترم تكاليفه التى لا تخالف منطقه البشرى ، ويجتهد فى تنفيذها راضيا

* * *

ومن هذا كله نجد ان الايمان بالله ، وهو الدعامة الاولى فيما تستقيم به حياة الانسان ، ليس مجرد نظرة قلبية عرفانية لا آثار لها فى الجوانب المادية الواقعية ، بل هو عقيدة توجيهية ايجابية فعالة .

محمد محمد المدنى

التضخم الثقافي

للدكتور محمد أحمد خلف الله

سال سائل عن هذا الانتاج الضخم الهائل الذى تنتجه المطابع كل يوم فى ميدان الكتاب ، وعن مدى تاثيره فى عمليات التثقيف ، وسير الحياة .

واجاب مجيب ممن نعرف فيهم الدقة فى الفهم والعمق فى التفكير بقوله : ليس يكفى ابدا ان ننتج الأعداد الضخمة الهائلة من الكتب ليكون مصيرها التكديس فوق ارفف مكتباتنا . فانما الذى يجب : ان تصل هذه الكتب الى القراء ، وان يقراها هؤلاء فعلا ويتأثروا بما فيها من افكار وآراء – والا كانت نتيجة عملنا هباء منثورا ، وكنا لاهين وعابثين فى اعمالنا .

وليس يكفى ايضا ان ننتج افكارا وان نكدسها فى عقولنا ، فانما الذى يكفى ان نحول هذه الافكار الى حركة دائبة ونشاط مستمر ، وان نوجه هذه الافكار طبقا للاعمال الاجتماعية وللاهداف القومية – والا كنا هنا ايضا عابثين وغير جادين .

***

ونحن لا نستطيع أن نعتبر عدد الكتب التى تخرجها المطابع فى عام دليلا على الصحة العقلية فى بلدنا ، كما أنه لم يصح أبدا اعتبار الورم دليلا على الصحة البدنية . وان هناك لأوراما عقلية ، واجساما اجتماعية مريضة ومثقلة بالأفكار .

ان الذى ينقصنا حقا ليس منطق الفكرة الذى قد يجىء عن الكتاب ، وانما هو منطق العمل والحركة . فنحن نقرا لنلتقط افكارا . ونحن نلتقط الافكار لا لنعمل وانما لنقول كلاما – اى تتمشدق بالفاظ وعبارات .

ان العقل التطبيقى الذى يتكون فى جوهره من الارادة والانتباه هو الذى يكاد يكون معدوما عندنا .

ان الواحد منا يتصرف كل يوم فى اربع وعشرين ساعة ، فتعالوا نتدبر كيف يتصرف ؟

إنه قد يكون من الموسعين عليهم فى الرزق ، او من القابضين على زمام الأمور ، لأنه صاحب حظوة او صاحب جاه وسلطان ، او من الحاصلين على الدرجات العلمية والشهادات الجامعية – لكن كيف ينفق ماله ان كان صاحب مال ؟ وكيف يسير اموره ان كان صاحب جاه وسلطان ؟ وكيف يستغل علمه ان كان من الجامعيين الذين يشار اليهم بالبنان ؟

اننا نرى فى حياة كل اولئك جانبا كبيرا من اللافاعلية فى حياتهم العملية . فان جزءا كبيرا من نشاطهم يذهب فى العبث وفى المحاولات الهازلة .

***

ان العلة – فى حياة هؤلاء جميعا – تكمن فى شىء واحد : فى العجز عن الامساك بالخيوط الدقيقة التى تربط بين الأشياء ووسائلها ، وبين الأشياء واهدافها .. فثقافتنا لا تعرف مثلها العليا ، وافكارنا لا تعرف طريقها الى التحقيق .

اننا نجهل او نتجاهل ان الفكرة هى المنوال الذى تنسج عليه ضروب النشاط الاجتماعى . واننا نجهل او نتجاهل ان النشاط الانسانى يصاب بالشلل عندما يدير ظهره للفكرة – كما ان الفكرة تصاب بالشلل اذا ما انحرفت عن النشاط الانسانى – انها فى هذه الحالة تمضى فى طريق اللهو والعبث .

لقد شرعنا فى بناء نهضتنا – ذلك هو مكاننا – اى تلك هى اللحظة الخاطفة التى تسجل نهاية الظلام فى ضميرنا ودبيب الحياة فى ذلك الضمير – انها اللحظة الفارقة بين عهد الفوضى وعهد التنظيم والتوجيه .

وان تنظيم المجتمع وحياته وحركته ، بل فوضاه وجموده وركوده ، ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة فى ذلك المجتمع ، فاذا ما تغير هذا النظام بطريقة او باخرى ، فان جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدل حتما فى نفس الاتجاه .

ان الأفكار هى التى توجه اهم جزء من ادوات التطور فى المجتمعات . وان مختلف مراحل التطور فى المجتمعات ليست فى الحقيقة الا الأشكال المتنوعة لحركات التطور الفكرى . فاذا ما كانت احدى هذه المراحل تنطبق على ما يسمى بالنهضة ، فان معنى ذلك :

(١) ان المجتمع فى هذه المرحلة يتمتع بنظام رائع من الأفكار .

(ب) وأن هذا النظام يتيح لكل مشكلة من مشكلاته الحيوية حلا مناسبا .

***

بعد هذه المقدمة التى طالت بعض الشيء ، والتى ما كنت استطيع الاستغناء عنها ما دمت قد عقدت العزم على ان اشرك القارىء معى فى الحكم على الأشياء التى يتناولها هذا المقال من حيث ان هذه المقدمة قد وضعت بين ايدينا الوانا من القيم الثقافية تصلح اساسا فكرية للحكم على الأشياء .. اساسا فكريا لتقييم الأشياء ، وتقويم الاشياء .

بعد هذه المقدمة اعرض قضية التضخم الثقافى فى بيان موجز ، وفى نقاش نرجو ان يكون مفيدا :

ونبدأ باعلان عن بيع بالمزاد العلنى . اعلان يعلن فيه الخبير المثمن السيد ـ سيد حبشى ـ عن بيع مجموعة من الكتب يبلغ تعدادها حوالى المليون ونصف المليون كتاب . وقد حدد المعلن مكان البيع وزمانه ، وكان الزمان الساعة الثانية عشرة من ظهر الاثنين الموافق عشرة من فبراير سنة ١٩٦٤ .

مليون ونصف مليون كتاب هى فائض انتاج مؤسسة واحدة من المؤسسات التى تعمل فى ميدان الكتاب .

والكتب المعروضة كتب قيمة من غير شك، ويكفى ان اذكر لك اسماء الكتب السبعة الأولى حتى تتبين تلك الحقيقة ، وتتبين الى جانبها فائض الانتاج من كل واحد من هذه الكتب السبعة :

والكتاب رقم ١ هو صحيح البخارى . ويقع فى ثمانية عشر جزءا ، ويبلغ فائض انتاجه ٢٢٦٠٢٥

والكتاب الثانى : دائرة المعارف . وتقع فى واحد وثلاثين من الأجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ٤٤٥٦١٥

والكتاب الثالث : تاريخ الجبرتى . ويقع فى ثمانية اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ١١١٨٥٧

والكتاب الرابع : المعجم المفهرس . ويقع فى سبعة اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ٨٧٢٥٢

والكتاب الخامس : بدائع الزهور . ويقع فى احد عشر جزءا ، ويبلغ فائض الانتاج ١٣٠٧٠٥

والكتاب السادس : اساس البلاغة . ويقع فى تسعة اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ٥٢١٦٤ .

والكتاب السابع : الفقه على المذاهب الأربعة . ويقع فى اربعة اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ١٥١١٦ .

هذه عينات لم اخترها اختيارا لأدلل بها على قيمة هذه الكتب ، وانما نقلتها نقلا عن الاعلان بدون حذف او تغيير .

والسؤال الآن هو : **هل اقامت هذه المؤسسة دراستها فى عملية انتاج هذه الكتب على أساس من التخطيط الذى اتخذناه لنا نظاما ، أو هى لم تدرس شيئا على الاطلاق ، أو درست واكتفت من الدراسة بمعرفة قيمة الكتاب فى نفسه بصرف النظر عن تعبيره عن فلسفة الدولة الاجتماعية أو تلبيته لاحتياجات ورغبات القراء ؟ ..**

اعتقد ان عمليات انتاج هذه الكتب كانت ارتجالية والأسباب فى ذلك واضحة ونجملها فيما يلى :

أولا : ان المؤسسات الخاصة التى تعمل فى ميادين صناعة الكتب لم تجرؤ فى يوم من الأيام أن تتجاوز فى الانتاج ٥٠٠٠ نسخة لأى مؤلف مهما يكن شأنه ، وكان على هذه المؤسسة العامة ان تضاعف هذا العدد ولكن لا الى الحد الذى يبلغ فيه فائض الانتاج ربع مليون او نصف مليون مجلد كما ترى فى صحيح البخارى ودائرة المعارف .

ثانيا : ان عدد قراء المجلات ـ ونعرف جميعا أن عدد قراء المجلات اكثر بكثير من عدد قراء الكتب ـ كان يجب أن يتخذ اساسا فى عمليات الانتاج بالنسبة للكتاب .

كان على القائمين بامر الانتاج فى هذه المؤسسة ان يسترشدوا بعدد النسخ فى ارقى المجلات ، وان يقفوا عند هذا العدد ، ولو فعلوا لما وصل فائض الانتاج عندهم الى هذا العدد الضخم الذى بلغ حوالى المليون ، ونصف المليون كتاب .

ثالثا : ان القائمين بأمر هذه المؤسسة فعلوا فى التعرف على ميول القراء ما فعلوه فى التعرف على عدد القارئين . لقد اكتفوا بالفرض والتخمين . والا فكيف يطبعون مثل هذه الكتب باعداد ضخمة ؟ . ان فائض انتاج كتاب جان كريستوف هو ٣١١٨١ ، وفائض انتاج كتاب طبقات صوفية هو ٢٢٣١٨ ، وفائض انتاج كتاب خامس الراشدين هو ٢٨٣٠٤ .

وليس يخفى ان اى كتاب من هذه الكتب لا تبلغ احتياجاتنا اليه الى هذا الحد الذى يبدو فيه فائض الانتاج ـ فضلا عن أصل الانتاج ـ ضخما ضخامة هائلة .

رابعا : ان القائمين بامر هذه المؤسسة قد اغفلوا اغفالا تاما الفلسفة الاجتماعية للدولة ، فليس من كتبهم كتاب واحد يصح أن نعتبره صورة صادقة وواضحة لفلسفة الدولة الاجتماعية .

ولعلنا نستطيع الذهاب الى العكس ، ونقول فى صراحة تامة ان بعض هذه الكتب من شأنه ان **يحول بين فلسفة الدولة الاجتماعية وبين ان تزيد او تنمو ٠٠ انها تمثل الوانا من العقبات فى وجه هذه الفلسفة .**

***

وسؤال آخر نسأله القراء : هل حققت هذه المؤسسة هدفا قوميا او ثقافيا حين باعت كتبها هذه فى المزاد ؟ او هى بصنيعها هذا قد ردت الأمور الى اعقابها ، وعكست الآيات البينات ؟

من المسلم به ان الدولة قد حاولت أن تحد من جشع الذين يعملون فى صناعة الكتاب حين اقامت مؤسسات عامة واعانتها بالأموال الطائلة لتمكنها من القيام بالعمل المجدى فى تحقيق تقديم الغذاء الثقافى لكل مواطن من أبناء الأمة العربية ٠٠ تقديمه بأيسر الأثمان .

ومما لا شك فيه ان هذه المؤسسة حين عادت فباعت انتاجها بأبخس الأثمان لتجار الكتب ، انما تعكس الآية وتباعد بين نفسها وبين الأغراض التى ما قامت الا لتحقيقها .

لقد اشترى تجار الكتب هذه المجموعة الضخمة بعشرة آلاف من الجنيهات ، ومعنى ذلك ان المجلد الواحد قد بيع باقل من قرش واحد ـ بيع بمليمات .

وهنا نستطيع ان نتصور مقدار الربح الذى سيربحه هؤلاء التجار ـ وهو ربح يجىء اولا واخيرا من جيوب القراء الفقراء .

ان المؤسسة بصنيعها هذا قد مكنت تجار الكتب من القراء ، ومكنت لهم من الاستغلال ومن الربح الذى يجىء بدون كد او عناء .

وان هذه المؤسسة بصنيعها هذا قد قلبت الأوضاع مرة ثانية . وخرجت من صناعة الكتب على انها رسالة وردتها الى أعقابها لتعود كما كانت تجارة ٠٠ وتجارة تدر الربح الوافر ، والمكسب العظيم .

***

انى اخشى ان تكون هناك مؤسسات أخرى تنتج بغير حساب ، ويتوفر لها من فائض الانتاج العدد الضخم من الكتب الذى يصل الى المليون ونصف المليون من الكتب والمجلدات .

وانى اخشى ان تصنع هذه المؤسسات صنيع سابقتها وتقدم على بيع الكتب بالمزاد العلنى ، وتحقق المعنى الذى يريده أصحاب المكتبات من ان صناعة الكتب تجارة لا رسالة ، وان الكاسبين فيها هم التجار وان الخاسرين هم المواطنون من القراء .

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه . وقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

بقى ان تعرف عنوان هذه المؤسسة التى حدثتك عن افعالها .

انه كما جاء فى الاعلان : ٩٢ شارع القصر العينى .

دكتور

محمد احمد خلف الله



دفاع عن الفلسفة

للدكتور مظهر سعيد

ليس من شك فى ان مدنيتنا المعاصرة توافرت لها كافة الوسائل التى تجعل الناس أكثر امنا ، والحياة أكبر سعادة • وقد اعطاها العلم الحديث قوة آلية جبارة ولكنها تستخدم امكانيات هذا العلم فى الترف أو الحرب ، وكلاهما يقضى على المدنية بالحقد ، ويجعل حياة الناس أكثر قلقا وشقاء • أجل ، لدينا القوة ولكن تعوزنا الحكمة •

والسر فى اضطراب حياتنا فى هذا القرن العشرين قرن الحضارة المادية اننا نعيش فى دنيا كلها قلق فى الحاضر وخوف من المستقبل ، وتوقع لحرب طاحنة مهلكة او ازمة اقتصادية خانقة •

فقد تزعزت العقائد الدينية ، وتصدعت النظريات السياسية ، واختلت الموازين الدولية ، والقيم الانسانية ، والعلم الحديث جعل الحرب أكثر تدميرا ، والنظريات الاقتصادية المتطرفة قلبت الأوضاع وأشعلت الثورات •

لقد اصبحت حضارتنا سطحية ، واحكامنا عن قيم الحياة خاطئة ، وآراؤنا فى معتقداتنا مبلبلة • نحن اغنى ما نكون الآن فى الأدوات والآلات والوسائل ، وسائل النعيم والجحيم على حد سواء ، ولكنا بعد فقراء فى الأهداف والغايات •

والمدنية المعاصرة فى أشد الحاجة لدراسة الفلسفة ، وفروعها ، من جديد • فبغير الفلسفة ، بغير نظرتها الكاملة المتكاملة للحياة ، التى تحدد أهدافنا ، وتوجه رغباتنا ، وتضبط أهواءنا ، نبدد تراثنا الاجتماعى وتتخلى عن مثاليتنا المسالمة ، ونسوق انفسنا بأيدينا الى انتحار الحرب الجماعية والصراع الاقتصادى والأيديولوجى القاتل •

نحن نزرع الأرض ونجوب الفضاء بسرعة جنونية ، ليس لها مثيل من قبل ، ولكنا لا ندرى الى اين تذهب ، وهل سنجد هناك ، عندما نصل ، السعادة التى تعوضنا عما بذلنا من مال ، وعما انفقنا من جهد . ان علمنا الحديث يهلكنا ، ونحن لا نأبه ، وقوتنا المادية المتزايدة تستعبدنا ، ونحن لا ندرى ، فلا نجاة لنا الا بالحكمة ، اى الفلسفة .

ان الناس جميعا ينادون بالحرية وحقوق الانسان وتقرير المصير ، ويحاولون أن يكونوا أحرارا بالفعل ، فى افكارهم وعقائدهم ، وسلوكهم وحياتهم ، مؤمنين بالضمانات القانونية والمواثيق الدولية ، ولكن قلعة الحرية التى يتوهمون أنهم يحرسونها ، خاوية على عروشها ، لأن حياتهم ليس لها فلسفة ، وتفكيرهم ليس فيه منطق ، وسلوكهم ليس له ضابط .

فعلينا ان نجد طريقا لاسترداد ثقة الناس فى صحة المبادىء السليمة التى كنا نؤمن بها ، فتطمئن النفوس من جديد ، وتصبح المدنية بحق اكثر رفاهية ، والحياة أكبر سعادة ، **ولا سبيل لكل هذا غير الفلسفة فهى التى تعلمنا السياسة النزيهة ونظام الحكم السليم وصفات الدولة العادلة ، وتبصرنا بعناصر القوة فى شخصياتنا وكيف ننميها ، والحياة الصالحة وكيف نحياها ، وتجلو لنا القيم الاخلاقية التى تسمو على القيم المادية تعلمنا كل هذا ، بفكر رصين ، ومنطق صحيح ، واشباع وامتاع ، وتجعلنا فى آخر الأمر كاملين ، بقدر ما يمكن أن يصل اليه البشر من كمال •**

وقد تربعت الفلسفة على عرش الفكر البشرى ، قرابة ألفين من السنين ، وكانت مصدر الكشف فى العلوم ، والابداع فى الآداب والفنون • ولكن ما أن تحكم العلم الحديث فى قوى الطبيعة ، وسيطرت المذاهب المادية على حياة الأفراد والجماعات • والشعوب والدول ، حتى اختلفت أحكام الناس على الفلسفة وقيمها ، وأهدافها ومثلها ، حتى ظنوا أنها بدأت تفقد مكانتها وتتخلى عن ميدانها ، لأن العلم المادى يتقدم فى اطراد متزايد ، فى هذا العصر ، عصر السرعة والمادة ، والفلسفة لا تساير هذا العلم المادى ، وموضوعاتها كالخير والشر ، والجمال والقبح والفضيلة والرذيلة ، والشك واليقين ، والحرية والاستبداد ، والحياة والموت ، لا تخضع لمقاييس العلم ، المحسوسة الملموسة • وهم فى نظرتهم هذه ينسون أن الحضارة كلها مدينة للفلسفة بكل ما فيها

من علم وفن وأدب • فهي التي رسمت على يد سقراط للعقل البشري طريقا واضحا وسط الأساطير والمذاهب الدينية البدائية ، والتقطت دور الحضارات القديمة وصاغت له اطارا منطقيا منظما • وعلى يد افلاطون ربطت بين سائر العلوم والفنون ، وجعلت منها مذهبا فلسفيا كاملا ، وقدمت شرابا سائغا لجميع العقول والأذواق ، واعطت الانسان المفكر اسلوبا جديدا ، يساعده على الادراك الواضح للاشياء والمواقف ، والتحليل المنطقي ، والترتيب المنظم لأصول الحقائق • وربطها وردها الى أسبابها وعللها الأولى ، ومبادئها وبديهياتها ونظرياتها ، ومن ثم كانت الفلسفة الحجر الأساسي للمعرفة في جميع العصور ومشعل النور الذي يهدي الانسان الى طريق الحقيقة والحكمة ، ولذلك سميت «فلسفة» أي حب الحكمة •

ويكفي الفلسفة فخرا أن « جمهورية افلاطون » ظلت مرجع العلماء في السياسة والتربية والمنطق عشرين قرنا كاملة ، وأن كتاب « عزاء الفلسفة » لمؤلفه الوثني « بوتيوس » كان له اكبر الأثر في ادب القرون الوسطى المسيحية الى عهد الأحياء ، وأن مقدمة ابن خلدون نشأت عنها طائفة كبيرة في العلوم الحديثة في الاجتماع وفلسفة التاريخ •

وليس من شك في أن طريق الفلسفة وعر شائك كالجبل ، وصاعده يتعرض للكثير من المزالق والمخاطر ، ولكنه يجد في المثابرة لذة التغلب على الصعاب ، فاذا ما وصل الى القمة السامية ، من مرتفعات العقل والمنطق ، استمتع بالجمال السابغ والهدوء النفسي الشامل ، واستعرض آفاق تجارب البشرية ، وادرك قيمة الانسان ومكانته في هذا الكون •

وتاريخ الفلسفة سجل للاجابات المنطقية الرصينة ، عن مسائل العقل والمعرفة والحقيقة ، تطالعنا منه نظرات عميقة لطبيعة المجتمع والخلق والحق والخير والجمال ، بل وحياة الانسان ومصيره • وهي من ثم ترشدنا وتبصرنا بمشكلات الحياة ، والحلول التي تتلمسها العقول الفذة لها • وكبار الفلاسفة يقفون عبر التاريخ في وديان الحضارة ، كالمعالم البارزة التي ترشد المفكرين في رحلتهم العقلية الطويلة •

ما هي الحياة وما الموت وما الخلود ، ما النفس والروح والعقل ، ما أنا وما الله ، ما الخير وما الفضيلة ، ما الصلة بين الفرد والجماعة ، ما هو الواجب وما الحق ، ما الحرية وما الارادة ، وما الهدف الأخير لكل هذا ، هذه أسئلة تخرق ستر الغامض المجهول ، وتلقي عليه بصيصا من نور المنطق ، فيدرك الانسان الشيء الكثير عن حقيقة الوجود • وقيمة الفلسفة تتجلى في هذه الأسئلة التي تسألها ، وليس في صحة الاجابات التي تعطيها • فالجواب الفلسفي يقيم صرحا من الحقائق ولكن الأسئلة تضع الاطار الذي يبرز صورة هذه الحقائق •

والفلسفة تعنى بالثابت الدائم النهائي ، وبالحقائق الكلية والمعاني المجردة ، وليس بالجزئيات المتغيرة المحدودة بحدود الزمان والمكان • وهي اتجاه عقلي نحو الحياة كلها ، يسبغ عليها الثبات والاستقرار ويوضح ما ترمي من أهداف وغايات • وما دامت هي حب الحكمة ، والحكمة رائد العمل فان المفكر الذي يعرف كل شيء ولا يستفيد من عمله ، ويفيد الناس بالعمل المتتبع ليس فيلسوفا •

وهي كذلك أسلوب للحياة ، وليست مجرد ترف عقلي أو مران على التفكير المنطقي • وهي من ثم تعنى بدراسة حاجات الناس الواقعية ، وتساعد على تعديل سلوكهم ، وتوائم بينهم وبين البيئة التي يعيشون فيها ، على وجه افضل • وقد لا تستطيع الفلسفة ان تقطع برأي في طبيعة الكون والوجود والحياة ، ولكنها – على الأقل – تستطيع أن ترشدنا الى افضل اهداف الفرد والجماعة ، ان كانت حقيقة الحياة والكون كالمظهر الذي يبدو لنا منهما • وهي تنسق نواحي طاقتنا الحيوية ، بتقييد رغباتنا وفقدها وضبطها وتعديلها وانسجامها • والطاقة المنظمة المنسجمة هي آخر ما تسعى اليه علوم الأخلاق والسياسة والمنطق وما وراء المادة •

ولأجل ان يكون الانسان فيلسوفا ينبغي أن ينشد الحكمة ، ويحيا وفق تعاليمها حياة البساطة والثقة والأريحية ومكارم الأخلاق •

والفلسفة ليست علما ، وانما هي اسلوب لدراسة غايات جميع العلوم • ولقد غزا الفلاسفة من قديم

ميادين العلوم والمعرفة بسلاح الفكر والمنطق وبرغم انفصال بعض العلوم عن أمها الفلسفة ، واستحداث البعض الآخر ، فان العلوم لا تلبث بين حين وآخر ان تستلهم وحي الفلسفة ، وتستعين بمنطقها واسلوبها على حل مشكلاتها الكبرى ، وهكذا تبدأ الفلسفة من حيث ينتهي العلم . وستظل الفلسفة قائمة ، ما دام الفيلسوف باقيا ، كناقد للفكر البشري ومحلل لنتائجه .. والخلاصة ان الفلسفة روح العلم والعلم بغير فلسفة حقائق بغير قيم .

ويتساءل الناس عن مفهوم الفلسفة ، وما التغير الذي طرأ على معناها ومرماها ، وماذا نفيد منها . والجواب عن هذا ، ان الكسب الرئيسي هو صياغة نفس الأسئلة القديمة ، وانما على نحو أوضح وادق . وبهذا يزداد فهمنا لحكمة اعمالنا وسلوكنا ، وتوفر على العلماء والمفكرين والباحثين ، الذين لم يتصلوا بالفلسفة ، بدء التفكير من جديد في امور تناولتها الفلسفة بحثا وتنقيبا ، واثبتوا خطأها او تفاهتها .

وليس من شك في أن العلم يتلقف الافكار المنطقية من الفلسفة ، ثم يتولى بحثها وتحقيقها ، واثباتها أو نفيها ، بملاحظته وتجربته ، واجهزته وادواته وقياسه واحصائه حتى اذا ما تبين صدق الرأي الفلسفي ، جعله قاعدة ونظرية وقانونا ، وتفتحت له مشكلات اخرى أكبر واهم فيعود الى الفلسفة ، يستلهمها من جديد .

والمذهب الواقعي الجديد لا يحاول ان يثبت الحقائق او ينفيها ، وانما يحاول توضيح الافكار الاساسية التي تعرضها العلوم الحديثة ، وترتيب الحقائق في مجموعة كلية واحدة ، تلتقي فيها جميع وجهات النظر . فالفلسفة الحديثة تحاول ان تضع اطارا ، ينتظم الافكار العامة على نحو منطقي متماسك وبلغة تترجم كل عنصر من عناصر خبرتنا المادية .

والفلاسفة اليوم لا يعيشون في ابراج عاجية ، ويفكرون في الفراغ وانما هم يرون المشكلات العامة ، في تطور العصر الذي يعيشون فيه . والمشكلات الفلسفية تثير الاهتمام الآن ، كما كانت منذ بدئها ، فهي دائما في شباب متجدد . وما المدارس الحديثة في الفن والأدب ، واصطناع التعابير الجديدة والرموز الا محاولات فلسفية .

ان العلم المادي ، في هذا العصر بالذات ، وبعد حربين عالميتين قد زلزل اصول جميع النظم والعقائد والمعاني ، التي قدستها البشرية واعتزت بها . واصبح من واجب الفلسفة والعلوم الانسانية ان تبحث اصول هذه الظواهر واسبابها وتتلمس لها علاجا ، وان تدرس اثر الثورة الفكرية للعلم الحديث في مستقبل البشرية . وكما اتقن الفلاسفة القدامى وسائل البحث العلمي ، فعلى المعاصرين واللاحقين ان يتقنوا وسائل البحث الخلقي لبناء الانسانية من جديد ، وتوجيهها نحو نظام اكمل ، وحياة افضل ، مما الفه الناس .

وعلى الفلسفة الحديثة اذ تعالج المشكلات التي تنجم عن التغيرات المتزايدة السرعة على مقياس انساني متزايد الاتساع وبقدرة اكبر على التعمق والنفاذ . وسيزداد تقدير الناس للفلسفة وثقتهم بها ، بقدر واقعيتها بالنسبة لعصرنا ومشكلاته . وبهذا تؤدي من الخدمات ما ادته الفلسفة القديمة لعصورها .

اجل . ان على الفلسفة ان تعيننا على اجتياز مرحلة الانتقال المضطربة ، وتكشف لنا عن حركات العلم الحديث ، وظروف الانسان الصناعية والاقتصادية والسياسية التي نبحث عنها ، وان تعالج هذه الفوضى الفكرية والخلقية ، وتضع لنا دستورا خلقيا جديدا ، يدفعنا الى طريق الكمال .

الدكتور

محمد مظهر سعيد

عميد الفلسفة وعلم النفس والاجتماع

بوزارة المعارف سابقا

الجانب الإنسانى فى الأدب الصوفى

بقلم : عبد الكريم الخطيب

يعتبر الأدب الصوفى فى جملته من الأدب المتفائل ، الذى يدعو الى التعاطف مع الوجود ، والى التحاب والتواد مع الموجودات . لا فرق فى ذلك بين موجود وموجود .. اذ كل ما فى الوجود يقع لعين الصوفى جميلا ، رائعا معجبا ، يشيع فى نفسه رضى وبهجة، ويغمر وجوده انتشاء ووجدا ، واذا هو طائر غرد ، وقع على روض اريض ، فى زمن الربيع ، فنفض ماق كيانه على لسانه ، نغمات صادحة مشجية ، تذهب الحزن ، وتستجيش الصبابة والهوى .

ففى الادب الصوفى تحتشد كلمات الحب ، والشوق ، والوجد ، والمحبة ، والحبيب ، والمحبوب، والوصل ، والخمر والكأس .. الى امثال كثيرة لهذه الكلمات التى تتحدث عن العشق واحواله ، والحب ولوعاته ، والهوى ومواجده ، والخمر وخمارها .. فيتصور من هذا كله موكب بهيج من مواكب الحياة ، قد جمعت له الوان المسرات والمباهج وسيقت اليه صنوف اللذاذات والمتع !

هكذا يرى الصوفى هذا الوجود الذى تقلنا ارضه وتظلنا سماؤه ، وهكذا يتصوره خياله ، ويصوره لسانه .

فالصوفى ينظر الى هذا الوجود نظر العاشق الواله ، المفتون بكل شىء فيه ، المأخوذ بكل سانحة منه ، الدهش المبهور بكل موجود فيه .. فلا يرى فى الوجود الاجمالا خالصا ، والا حسنا متفردا ، والاجلالا مهيبا تعنو له الجباه ، وتخشع القلوب!..

ومن هنا جاءت فتنة كثير من المتصوفة ، اذ اختلط عليهم الخلق بالخالق ، حين غمرتهم نشوة هذا الجمال والجلال الذى يسفر لهم عن وجهه فى كل كائن ، فخشعوا له ، وسجدوا بين يديه ، وعبدوه فى « الذات » ـ ذات الآله ـ وعبدوا « الذات » فيه !

والحب ـ كما يقولون ـ يعمى ويصم ! فانه اذا احب الانسان شيئا وتمكن هذا الحب من قلبه ملك عليه أمره ، واخذ منطقه وعقله ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ! واذ هو وقد اسلم للحب قياده ، فلا يجد . الوجود كله الا فيه ، ولا يرى الحياة حياة الا به ومعه ، ولا عليه بعد هذا اذا فاته من الحياة ما يتنافس فيه الناس ويقتتلون عليه من مال اوجاه او سلطان ، ان لم يكن محبوبه المعبود هو المال او الجاه او السلطان !! فابو «نواس» ـ مثلا كان دينه الخمر ، ومعبوده الكاس .. فهو لا يرى الوجود الا دن خمر ، او رشفة كاس ؛ والشعراء العذريون يحسبون الوجود كله عندهم مجتمعا فى محبوباتهم ؛ لا يفتحون عيونهم على شىء الا اطلت عليهم منه تلك المحبوبة المعبودة !

فهذا مثلا « كثير عزة » قد جمع الوجود كله فى « عزة » صاحبته ، ومعبودته ، واستغنى بالنظر اليها عن كل مطلب فى الحياة ، وزهد فى كل جميل غيرها ، وعمى عن كل حسن سواها .. بل لقد استغنى عن الناس جميعا ، وود لو تنقطع بينه وبينهم الاسباب ، فلا يلقاهم ولا يلقونه ، ليفرغ لعبادة معبودته ، بل انه جاوز ذلك الى ان تمنى ان يخرج من عالم الناس الى عالم الحيوان ، حيث لا يشركه فى عبادة معبودته احد ، ولا يشرك هو فى عبادتها احدا !

واستمع الى احدى امانيه :

الا ليتنا يا عز ـ من غير ريبة ـ
بعيران نرعى فى الخلاء ونعزب
نكون لذى مال كثير مغفل
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
كلانا به عر ، فمن يرنا يقل :
على حسنها جرباء تعدي واجرب
اذا ماوردنا منهلا هاج أهله
الينا ، فلا نتفك نرمى ونضرب !

فهو يركب وصاحبته هذا المركب الوعر ، ويرمى بامانيهما الى هذا المرمى البعيد المظلم ، المخوف ليخلو لكل منهما وجه صاحبه ، وحسبهما بذلك سعادة ورضى ، وان تكن الحياة كلها حربا عليهما ، ترميهما بالجرب والتيه ، والضياع ، والحرمان ، بعد ان رمتهما من قبل بالمسخ ، والتنكيس فى الخلق !

والصوفى اشد حبا للوجود كله ، وللموجودات جميعها من هذا الحب العذرى ، الذى يقصره المحب على محبوبته ، حيث لا يرى شيئا غيرها ، ولا يحفل بموجود سواها .. على حين ان قلب الصوفى يسع هذا الوجود كله ، فيخفق لكل نسمة منه ، ويفتتن بكل ظاهر وخفى فيه .

فالجمال في عين الصوفي ليس موقوفا على المرأة الفاتنة ، او الزهرة الناضرة ، او الفجر الضاحك او الشفق الباكي ، او غير ذلك مما يتعشقه الناس ويميلون اليه ، وانما الجمال عند الصوفي شائع في كل شيء سار في كل كائن ، موجود في كل موجود ، وان عميت عنه عيون ، وزهدت فيه عيون !

يقول ابن الفارض متحدثا عن الذات الآلهية :

وصرح باطلاق الجمال ، ولا تقل
بتقييده ، ميـلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها
معـارله ، او حسن كل مليحة
بها «قيس لبنى» هام ، بل كل عاشق
كمجنون ليلى ، او كثير عزة
فكل صبا منهم الى وصف لبسها
بصورة حسن لاح في حسن صورة
وماذاك الا ان بدت بمظـاهر
فظنـوا سـواها ، وهي فيها تجلت
بدت باحتجاب ، واختفت بمظاهر
على صبغ التلوين في كل برزة
وتظهر للعشـاق في كل مظهـر
من اللبس في اشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنى ، واخـرى بثينة
وآونـة تدعـى بعـزة عـزت
ولسن سواها ، ولا كن غيرها
وما ان لها في حسنها من شريكة

فابن الفارض ينظر الى الذات الآلهية من خلال هذا الوجود كله ، فيرى جمال « الذات » منثا في الموجودات جميعها ، ناطقها وصامتها ، ماتراه اجمل جميل ، وماتحسبه اقبح قبيح ! فنحن الذين نزن الجمال والقبح بموازيننا ، اما الحق فمن وراء ذلك ، اذ ليس فيما خلق الله من قبيح : « الذى احسن كل شيء خلقه » .. « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » .. « فتبارك الله احسن الخالقين » !!

فالجمال ـ كما يرى الصوفي ـ يلبس الوجود كله ، ويجمل الموجودات جميعها .. فهو مطلق لا يمسكه مكان ، ولا يستأثر به زمان .. انه فوق الزمان والمكان ، فلا ينخدع المرء بظواهر الاشياء ، وما عليها من زخارف والوان ، فيجعل لها ـ دون غيرها ـ مكان الحب من قلبه ، وموضع العجب والاعجاب من عينه ، ويضرب صفحا عما عداها ، مما لم يكتس بهذه الاثواب المفوفة المزخرفة .. فانه ان يكن في هذه جمال ظاهر ، فان في تلك جمالا خفيا مستورا ، لايقل بهاء وروعة عن هذا الجمال الواقع في مجال الحس ، وفي معرض النظر !.

وندع الجانب العقائدى من هذا الشعر الصوفي وما يدور في فلكه ، فما من همنا في هذه الدراسة أن نناقش عقيدة المتصوفة ، ولا ان نشق عن قلوبهم لنعلم ما يدينون به للديان ، فذلك امره الى الله .. « كل امرىء بما كسب رهين » .. وانما نحن بصدد التقييم الفني للأدب الصوفي ، لمعرفة مكانته في الأدب ، وآثاره في الحياة ، كفن من الفنون التى لها آثارها ، وثمراتها في الناس !

واذ ندع الجانب العقائدى من هذا الأدب الصوفي فاننا نجد فيه انغاما شجية حلوة من التعاطف والحب والتجاوب مع الحياة وموجودات الحياة !

ففي الأدب الصوفي ـ شعره ونثره ـ دعوة قوية الى التعامل مع هذا الوجود ، والى مداناته ومخالطته مخالطة مودة ، والف ، ومحبة ، وعشق ، وهيام !

فحيث يكون الانسان مع الأدب الصوفي ـ قارئا او دارسا ـ فهو في مواجهة عالم فسيح رحيب ، تتبدى فيه الحياة بموجوداتها معرضا من معارض الحسن ، ومسرحا من مسارح الجمال ، تتغاير فيه الصور ، وتتخالف عليه الأشكال ، وليس فيها غير الحسن والجميل من كل ما يظهر او يختفى !

***

وانه لطبيعي أن تبدو الحياة من خلال هذه النظرة ، وعلى أضواء هذا الأدب وفي أجوائه وأنفاسه ـ طبيعى أن تبدو حياة طيبة يمكن أن يعاش فيهـا ، وان يسكن اليها ، او انها ـ على اقل تقدير ـ حياة محتملة ، لا يهرب الانسان من وجهها ، ولا يضعف عن احتمال تبعاته فيها .

فالأدب الصوفي ـ من هذا الجانب ـ يؤدى وظيفة حيوية في الحياة ، حيث يقوم بعملية مصالحة ـ بين الناس وبين ما يلقاهم في حياتهم من مآس وفواجع ، وما يهجم عليهم من تصورات مهولة مفزعة ، لهذا المصير المجهول الذى سيصيرون اليه ، والذى تدفع بهم الحياة دفعا قاهرا قاسـيا نحوه ، ليخطفهم ، وليلقى بهم في جوفه ، الذى يبتلع ما يبتلع من اجيال الناس ، دون ان يشبع او يمتلىء ابدا !

ونظرة الى ما يعانيه الغرب اليوم من قلق ، وما يعالج من هم ويأس ـ تكشف لنا عن مأساة الإنسان ، وعن مصابه الفادح ، وحظه الأسود الذي رماه به القدر ، حين أقامه هذا المقام بين الكائنات ؛ فجعل منه ذلك الانسان الذي يرى بعقله مصيره المشئوم الذي هو صائر اليه ، وان مد له العمر وبسط له في الرزق ، والجاه والسلطان !

ولقد بلغت مأساة الانسانية غايتها في هذا العصر ، حيث بلغ العقل من القوة بحيث استعصى على الانسان أن يمسك زمامه أو يلوى عنانه ، أو يقف به عند الحد الذي ينبغي الا يجاوزه ..

وكان من هذا أن سلك العقل وحده مسالك ودروبا فيما وراء الحدود المقدور له أن يتحرك فيها .. كان أن عميت عليه السبل . وسدت في وجهه الأبواب ، فجعل ينطحها في اصرار وعناد ، يريد أن يفتح له ، ليقع على الجواب لما ظل يسال عنه أبد الدهر : من نحن ؟ وما الحياة ؟ وما الغاية التي ترمى بنا اليها ؟ وما القصد الذي تقصد اليه من هذا التقابل المكرور بطابع ما تلد من مواليد ، وما تبتلع من أموات ؟

ولم يكن الجواب الذي رجع به العقل بعد هذا الجرى اللاهث ، وهذا العناء الطويل الا أوهاما وظنونا والا خيالات وخيالات . ملأت قلب الانسان يأسا قاتلا ، وهما مزعجا .. وكان من هذا ان أسلم كثير من أرباب العقول عقولهم الى الخبل والجنون ، كما أسلم كثير منهم نفسه للموت العاجل بيده ، خنقا أو شنقا ، أو رميا بالرصاص ، أو ترديا من شاهق .. وذلك ما تنطق به أرقام الاحصائيات التي تعنى بتسجيل هذه الظاهرة التي لم تشهد لها الانسانية مثيلا من قبل ، في كثرة عدد الهاربين من الحياة عن طواعية واختيار ، والمندفعين في جنون وهوس الى ساحات الانتحار .

ان مأساة الانسان الغربي اليوم ، كما يقول هنرى باربوس في قصته « الجحيم » تنحصر في ان انسان اليوم : « يرى أكثر وأعمق مما يجب » . وان هذه الرؤية ليست واقعة في المجال الذي ينبغي ان يتحرك فيه العقل ، ويقف عند حدوده ، وانما هي فيما وراء هذا المجال ، وخارج حدوده .. فكان طبيعيا ان تجيء معطيات هذه الرؤية مضطربة مختلطة ، تخرج الانسان عن طريقه المألوف في الحياة وتزلقه عن موضعه بين الأحياء .

[illegible] العصر قد اختلط [illegible] بالعنصر الطبيعي الذي قام عليه الوجود الانساني ، تخرج عن مجاله ، وبعد عن مواطن السلامة والأمن ، تماما كما ينظر الانسان بعين تبلغ قوة ابصارها قوة « المجهر » ! .. فهل بمثل هذه العين يمكن ان يعيش الانسان الذي يحملها : عيشة طبيعية في حياته ، وأن يتعامل بها مع الناس ، وأن يأمن الزلل والعثار ؟ انه لا يمكن لانسان أن يحتمل الحياة بهذه العين ليوم أو بعض يوم دون أن تسلمه المفارقات التي تقع بينه وبين المجتمع ، الى الجنون أو الانتحار !

وما العقل الا حاسة للادراك كما أن العين حاسة للنظر ، والأذن حاسة للسمع ، والأنف للشم ... وهو بهذا القياس محدود المجال ، لا يعمل الا في دائرته المقدور له العمل فيها ، فاذا جاوزها ضل ، وشقى ، وشقى معه من يصحبه .

ولا تحسبن أننا نزرى بالعقل ، ونمسك به عن أن ينطلق الى أقصى غاياته ، وأن يبلغ ما وسع جهده من سعى في آفاق العلم والمعرفة .. فذلك ما لم يدر بخلدنا ، أو يقع في تفكيرنا ، وانما نحن نسجل ظاهرة من ظاهرات الانحراف العقلي حين يخرج العقل عن حدوده ، وينفلت من مداره عند الفلاسفة والمفكرين في حال أشبه بهذا الانحراف الذي يقع في محيط البله والمعتوهين .. فكلا الحالين خروج بالعقل عن حد الاعتدال الذي انتظم به شأن الناس مع الحياة ، واستقام على ناموسها .. هذا خروج الى أعلا ، وذلك انحدار الى أسفل !

وهذا الداء الذي يخامر الغرب اليوم من هذه الفلسفات المريضة المتشائمة ، والتي تطوى بين جناحيها جماهير غفيرة من المفكرين والمثقفين ، الذين استبدت بهم عقولهم فرأوا أكثر وأعمق مما يجب .. هذا الداء انما يكمن دواؤه في التصالح مع الحياة ، وفي التعاطف مع الوجود وهذا لا يقع الا لمن فتح قلبه للحب .. الحب الذي يعانق كل كائن ، ويصافح كل موجود ، ويناغى كل صامت وناطق ، على نحو هذا الحب الصوفي الذي تغنى به المتصوفة في كل أمة ، وفي كل جيل من أجيال الحياة على اختلاف المذاهب والديانات .

بهذا الحب ، وبه وحده ، تشفى جراحات أولئك الذين أصابتهم سهام عقولهم ، تلك الرميات الطائشة من وراء الحدود المتصورة للعقل البشري !

عبد الكريم الخطيب

فن التراجم : تاريخه وأصوله

تاريخ التراجم عند العرب

للدكتور ماهر حسن فهمي

ظلت أوربا عقيما في كتابة التراجم منذ عصور الظلام التي خيمت عليها في القرون الوسطى ، على حين أخذ التاريخ الاسلامي مكانه في الوجود ، وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة ، وتتوالى بعد ذلك ، حتى بلغت من الكثرة والتنوع في التراث العربي حدا هائلا .

وتعد السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الاسلامية، واقدمها ظهورا . ولم تستأثر بلدة اسلامية واحدة باخراج مؤرخين لسيرة الرسول ، فقد اشترك في ذلك العمل طائفة من المدن الاسلامية الكبرى . فنرى من مؤرخي السيرة في المدينة موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، ومحمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٢ هـ والواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ونرى من مؤرخي السيرة المكيين ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ كما نرى من البصريين محمد ابن سعد صاحب الطبقات ، وابن هشام صاحب « السيرة النبوية » المتوفى سنة ٢١٨ هـ ومن الكوفيين زيادا البكائي المتوفى سنة ١٨٣ هـ . وقد انتهت الينا سيرة الرسول في كتاب عبد الملك ابن هشام ، الذي انتهت اليه السيرة التي كتبها ابن اسحق . ونلاحظ في كتاب السيرة النبوية ومؤرخيها الأولين أن أغلبهم كان من أهل مدينة الرسول ، وقد أتاح لهم قربهم من عاصمة الاسلام ـ بعد مكة ـ أن يرووا الأحداث كما سمعوها من أقرب الناس اليها ، وأن تنقل عنهم هذه الأخبار ـ عن طريق الاسناد . والحق أن ابن هشام كان أكثر بصرا وحذرا من أستاذه ابن اسحق . كان أمينا في الرواية عنه ، لكنه كان يعلق على هذه المرويات ويصحح ألفاظا وقعت في عبارة ابن اسحق أو يذكر رواية أخرى مخالفة للأصل .

وقد أخذ مؤرخو المسلمين بعد ذلك وعلى تتابع العصور الاسلامية يكتبون في السيرة النبوية من نواح عدة ، فمنهم من يفيض الحديث في غزواته ومنهم من يطيل القول في شمائله ، ومنهم من يتحدث عن أولاده وحفدته . كما صنع القاضي عياض في كتابه « الشفا في تعريف حقوق المصطفى » **وكما صنع ابن سيد الناس اليعمري في كتابه « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » ، وكما صنع شهاب الدين القسطلاني في كتابه « المواهب اللدنية في المنح المحمدية » ، وغيرهم . ولما جمع** العرب الحديث، وكثر رواته ، ابتدأ الناس يضعون الأحاديث خاصة أصحاب المذاهب السياسية ورواة القصص . واحتاج الناس الى أن يدققوا في معرفة تاريخ رواة الحديث فوضعت تراجم لهم ، خدمت المشتغلين بالحديث وخدمت في الوقت نفسه فن التراجم ، وتنبهت الأذهان الى أن توضع تراجم أخرى لطبقات من الرجال تتفق في لون واحد من العلم أو الفن . وأول من ألف في طبقات الصحابة البخاري في « التاريخ الكبير » وابن سعد في « طبقاته » . ويقع كتاب ابن سعد في ثمانية أجزاء . الجزآن الأولان للسيرة النبوية والأجزاء الباقية في تراجم الصحابة والتابعين ورواة الحديث ويبدأ الجزء الاول بحوار وينتهي بأخبار الرسول وزواجه وقيامه بالدعوة والجزء الثاني يتناول غزوات الرسول وينتهي بحجة الوداع ثم وفاته . وهو يعنى بذلك لأنه رجل يخدم السنة . أما بقية الكتاب فيفرد فيه لكل من الصحابة والتابعين فصلا لنسبه وتاريخ حياته وسنة وفاته . والتراجم فيه مقسمة الى طبقات حسب الأقطار ، ثم حسب سلسلة الرواية فهو يذكر مثلا أحد الصحابة ممن عاشوا في المدينة ثم من رووا عنه ممن عاشوا في نفس المدينة . وقد خصص المؤلف الجزء الثامن من كتابه لتراجم النساء مقسمات ، فبدأ بنساء النبي ثم قسم الباقيات الى طبقات حسب قبائلهن .

وفي القرن الخامس الهجري كتب **ابن عبد البر « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد رتب**

أسماء الصحابة فيه ترتيبا هجائيا ، ويشتمل على ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة • وفي القرن السابع الهجري انفرد المؤرخ عز الدين بن الأثير – صاحب الكامل – بمعجمه الكبير في تراجم الصحابة، وقد اربى عدد التراجم فيه على ضعف عددها في كتاب الاستيعاب ، واسم كتابه « أسد الغابة في معرفة الصحابة » • وما جاء القرن التاسع الهجري حتى كانت تراجم الصحابة قد بلغت اوجها على يد ابن حجر العسقلاني في كتابه « الاصابة في تمييز الصحابة » • وقد رتب الأسماء فيه على حروف المعجم ، وجمع فيه بعض كتب الصحابة السابقة مثل كتب ابن منده وابي نعيم الأصفهاني وابن عبد البر النمري وغيرها ، ولكنه زاد عليها كثيرا واستدرك ، ودفع كثيرا من الوهم فيما وقع فيه كتاب التراجم ، وافرد في احد اجزائه قسما خاصا للصحابيات ، اما الصحابة المعروفون بكناهم فقد جعل لهم جزءا مستقلا في كتابه الضخم •

وشهد القرن الثالث الهجري أول كتاب ألف في طبقات النحاة للمبرد ، ولكنه اقتصر فيه على رجال مدرسة البصرة • وفي القرن الرابع ظهر كتابان في تراجم النحاة ، أولهما للسيرافي وهو « أخبار النحويين البصريين » والثاني للزبيدي وهو « طبقات النحويين واللغويين » وترجم فيه لأعلام النحاة واللغويين منذ أيام أبي الأسود الدؤلي حتى عصره • وقد استفاد من هذا الأصل في تراجم النحاة واهل اللغة كثير ممن كتبوا في التراجم بعد ذلك كياقوت والقفطي والسيوطي وغيرهم • وفي القرن السابع الهجري ظهر كتاب « انباه الرواه على أنباه النحاة » للقفطي ، وهو معجم شامل لتراجم علماء النحو واللغة حتى عصر المؤلف • وقد تضمن أيضا تراجم كثيرة للأدباء والمؤرخين والفلكيين والمتصوفين، ممن كانت لهم أية مشاركة في اللغة والنحو ، وبهذا اجتمع فيه قرابة ألف ترجمة • ولم يختص هذا الكتاب باقليم دون اقليم ، بل شمل كل الأقاليم العربية من الأندلس الى فارس ومن أرمينية الى اليمن • واعتمد المؤلف على مصدرين في تاليفه • أولهما الكتب المؤلفة قبله في التراجم والسير والأخبار ، وثانيهما معارفه الخاصة التي استمدها من أساتذته في القاهرة وقفط او شاهدها في أسفاره بين مصر والشام أو أفادها من مجالسه في حلب ، أو كاتبه بها العلماء من مختلف البلدان • وكثير من الحقائق التي أوردها في كتابه قد انفرد بها أو نقلها من كتب لم تصل الينا ، فهو بذلك يختص بقيمة علمية تاريخية كبيرة • وليست للمؤلف في تراجمه طريقة خاصة أو منهج محدد ، وهو في الغالب يذكر الذين يترجم لهم باسمائهم ثم يتبع ذلك بشهرتهم ، ويستطرد فيذكر أخبارهم ويعدد كتبهم وسنة وفاتهم والأقاليم التي عاشوا فيها • ولا يقف فيما يذكره عند حد الرواية أو النقل ، بل يتجاوز ذلك الى النقد والتحليل • والكتاب وان كان موضوعا على حسب حروف المعجم الا أنه لم يرتب ترتيبا دقيقا ، فهو يكرر بعض التراجم مرة بالاسم ومرة بالكنية أو الشهرة ، ولكن ذلك وقع في الكتاب على قلة . وقد أنتهت بعد ذلك الترجمة للنحاة الى المؤرخ السيوطي في « كتابه بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » • وقد أطلع المؤلف كما يذكر هو على أكثر من ثلثمائة كتاب حتى يجمع مادة كتابه هذا • **ويبدأ الكتاب باسم محمد ثم احمد تبركا باسمي الرسول ، ثم يرتبه بعد ذلك ترتيبا هجائيا • وفي نهايته يسهل مهمة الباحث حين يذكر باب الشهرة والألقاب ويذكر امام كل الاسم الحقيقي لصاحب الترجمة • ويهتم السيوطي بالجانب الأدبي ، فهو يذكر كثيرا من الشعر لمن يترجم لهم ، مما يشيع الحياة في مؤلفه** ولقد سبق ابن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ كتاب الطبقات والتراجم حين ألف « طبقات الشعراء » • ولعل كتابه كان ردا أو تصحيحا لوضع المؤرخ محمد بن اسحق وموقفه من الشعر العربي ، فقد اتهم هذا الرواية المؤرخ بأنه ممن أفسد الشعر وهجنه على علمه بالسير ، وكان هو يعتذر منها فيقول : « لا علم لي بالشعر انما أوتى به فاحمله ، ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، واشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، أفلا

يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن اداه منذ الوف من السنين ؟ » فأراد ابن سلام ان يحمل الذين يدونون الشعر على الا يتركوا للأجيال اللاحقة الا الثابت الصحيح ، ولذلك اقتصر كتابه على الشعراء الجاهليين والاسلاميين أما شعراء عصره فلم يتصد لهم لانهم يدونون اشعارهم . وقد قسم الجاهليين الى بدو وحضر ، وجعل البدو عشر طبقات كل طبقة تتالف من اربعة ، وجعل مخضرمي الجاهلية والاسلام كالحطيئة وحسان في عداد الجاهليين . وكثيرا ما كان له راى فيما يروى، وقد يحكم على الشاعر حكما ربما لا يتفق مع ما رآه بعض من سبقوه .

ولم يكن ابن سلام اديبا اكثر مما كان مؤرخا وراويا للشعر ، الا ان ناحية الأدب تظهر لنا بوضوح عند الأديب المؤرخ ابن قتيبه في كتابه « الشعر والشعراء » الذى يحتوى على « تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » كما يقول في مقدمته وفي القرن الرابع الهجرى اتجه الامام ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني الى الترجمة للشعراء بحسب جماعات الأسماء ، فهناك مثلا جماعات الشعراء المسمين باسم عمرو ، وهناك المسمون باسم عماره ، وهناك المسمون باسم موسى ، وهكذا . وهو مرتب على حروف المعجم الا أنه جمع الأسماء المتشابهة في باب واحد . والحق ان في هذا الكتاب من التراجم مالا نجده في مصدر آخر . وفي ذلك القرن بالذات نجد شعراء القرن الرابع في جميع اقطار الاسلام يترجم لهم وتجمع اخبارهم واشعارهم في كتاب ألفه الثعالبي ، وهو « يتيمة الدهر » ، وهو صورة صادقة لتطور الشعر العربي في ذلك الوقت ، وللأبواب الكثيرة التى طرقها . ولم يرتب الثعالبي كتابه حسب الأسماء ، بل رتبه حسب الأقاليم الاسلامية العربية . وجمع فيها « من بدائع اعيان الفضل ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيرا ، تتضمن من طرفهم وملحهم لطائف امتع من بواكير الرياحين والثمار » وقد بدأ بشعراء الشام ثم شعراء مصر والمغرب وبني بويه وشعراء العراق واصبهان والأهواز وجرجان وطبرستان وخوارزم وخراسان ونيسابور وغيرهم . **وقد يقال ان الثعالبي قد تالق في صوغ عبارات الكتاب وأكثر السجع في تراجمه مما قد يكون على حساب المعنى والدقة في الترجمة وعذر الرجل انه كان صدى لعصره ، وما ظنك بكاتب يعاصر الخوارزمي والصابي والصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم من ائمة السجع في النثر العربي ؟ وقد يقال ايضا ان الثعالبي لم يهتم بمواليد الشعراء ووفياتهم ، واهمل تلك الناحية الهامة في الترجمة ، الا ان الرجل كان منشئا اكثر مما كان مؤرخا ومترجما ، فغلبت عليه صفته ، ولكن ذلك لا ينقص كثيرا من قدر كتابه القيم .** ومن كتب التراجم للشعراء كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ، ويقع هذا الكتاب في عشرين جزءا . والأصل في تاليفه هو جمع الأغاني أو شعر الغناء ثم التعريف بمؤلفي هذه الأغاني ، فنتج هذ الفيض الضخم من اخبار الأدب والغناء وتراجم الشعراء حتى عصر المؤلف . وهو اغنى كتاب في المكتبة العربية من ناحية أخباره الأدبية وتراجمه للشعراء ، فقد استطاع بصبره الطويل على البحث ، مدة خمسين سنة ، أن يجمع بل أن يستقصى الأخبار والروايات حول الشعراء الذين ترجم لهم . وهو في الحقيقة موسوعة عربية ضخمة رجع فيها مؤلفها الى مراجع يضيق عنها الحصر ، وخلفها من بعده لتؤكد ما كان عليه المؤلفون الاسلاميون من وفرة في التحصيل والانتاج واصالة في التاليف . وربما اخذ على هذا الكتاب انه لم يرتب على نحو خاص ، وان كانت الفهارس قد اغنت عن ذلك الترتيب .

ولا نستطيع أن نغفل بعد هذا طبقات الفقهاء، وطبقات المفسرين وطبقات الصوفية وطبقات القضاة وطبقات الأطباء وطبقات الفلاسفة والحكماء ؛ **كما لا نستطيع ان نغفل في مجال التراجم العربية كتب التراجم العامة مثل « نزهة الالبا في طبقات الادبا » للانبارى ، و « معجم الأدباء » لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وغيرها ، مما يزرى بتراث أمم كثيرة في هذا المجال ، كما يقول الأستاذ عبد الغنى حسن في كتابه القيم عن التراجم .**

دكتور ماهر حسن فهمى

قصّة إنسانيّة

للشّاعر علي أحمد باكثير

الرفيقـــان كيف يفترقان ... بعد خمسين حجـــة وثمان
قضياها معـا كاحسن ماعا ... ش على الحب والرضا زوجـان
وكان الصحراء اذ قطعاها ... واحة من رضاهما الفينـــان
كيف يأتي يوم يودعها فيـ ... ـه الى حيث ليس يلتقيـــان
حيث يقضي كلاهما باقي العمـ ... ـر بمنأى عن الفه وهو دان
هي في ملجأ العجـــائز لكن ... هو في ملجأ الشيوخ الفواني

***

يا ماريكا هذا جواب من الملجأ ... صاحت : بالرفض ام بالقبول؟
قال: بل بالقبول . قالت:ترفق ... بنـــايوتي بعقلي المذهـول
كيف نختار ان نسير الى المو ... ت ولما يؤذن لنـــا بالرحيـــل؟
لو أتى الموت عندنا لاحتملنـــاه ... وقلنا اهلا به من نزيل
بنايوتي الهذ مللت ؟ وما كنت ... مــــلولا ولست بالمــــلول
أو حقا عشنا معا نصف قرن ؟ ... آه ! مرت كضحوة واصيل

***

يا مريكا تجلدي : غير مجد ... عند وشك الفراق قــولك آه
أو لم استشرك قبلا فكان الملـ ... ـجأ الحل ليس حـــل سواه ؟
كيف يحيا من هدت السن مثل ... دون مال أو عائل يرعاه ؟
اتريدين ويك ان نسأل النـا ... س؟ فاين الأيدي وأين الشفاه؟
وهبي أننا اطقنا سـؤالا ... اي عيش يبقى لنا معناه ؟
أو ترضين أن امد يدي للنـا ... س بعد العيش الذي عشناه ؟

***

بنايوتي فــداء نفســك نفسي ... خل عنك السؤال فالموت ارحم
كيف ارضاك في الطريق قد الكـ ... ـف بعد العيش الكريم المنعم ؟
اهلي عقبى الكفاح الذي كافحـ ... ـت منذ الشباب حتى تصرم ؟
منذ ركبنا ظهر السفينة من (بير ... يه) مثل السردين أو هي ازحم
ونزلنا نواجــه الغيب والغر ... بة حتى استنار ما قد تجهـــم
منذ كنا نبني المنى في اثينــا ... ثم حققنـــاها بظــل المقطـم !

***

بنايوتي لو اقتصدنا قليلا ... لادخرنا لليوم مالا كثـــيرا
ولكنا كفـيرنا من بني اليونا ... ن نحوي أرضا ومالا ودورا
ياماريكا لاتأسفي فلقد عشـ ... ـنا رغيدا وما الونا سرورا
قد ملكنا من اهل مصر قلوبا ... ان يكن غيرنا اقام قصــورا
أو ماتبصرين جـيراننا يبكو ... ن من اجلنـــا بكاء مريرا ؟
كم أرادوا عونا لنا لو قبلنـــا ... لاجزاء يرجونه او شــكورا
غير انا على الاباء درجنـــا ... فرأينـا حمل الجميل عسيرا

يا ماريكا لقد كتمتك شيئا   امس، قالت: ماذا كتمت وفيمه؟
مالك البيت قال لى : ابق فى البيـ   ـت ولا تدفعن لى اى قيمه
قلت والدمع حائر فى عيونى   كيف اجزى يدا على كريمه ؟
قال : صه قد غدوتما لصغارى   والدا حانيا واما رحيمه
بنايوتى صدقت . هذا الوداد الحـ   ـلو اغلى من القصور العظيمه
ان فيـه العزاء اى عزاء   عن منى اخدجت واخرى عقيمه

***

فاستعدى اذن لنمضى فى الصبح   الى الملجـا الكريم الامين
حيث نحيا بغير كد ولا هم   ولا دائن ولا مديون
بنايوتى قل بالحرى : الى السجـ   ـن الى المنزل الكئيب الحزين
حيث نحيا بلا غد . قد دفنا   غدنا الحى فى رماد السنين
يامريكا لو كان لى ولد منـ   ـك لكان الفراق قطع الوتين
فاحمدى الله اننا ما بلينا   ببنات يثقلننا او بنين

***

بنايوتى لو كان لى ولد منك   لكنا فى ظلهم آمنينا
ولكانوا لنا عزاء اذا الداعـ   ـى دعانا لنلحق الراحلينا
اذ ستبقى بهم على الارض ذكرانا   فنغدو فيها من الخالدينا
يا ماريكا الخلود فى الارض وهم   كل من فوقها من الهالكينا
ان اردنا الخلود فلنلتمسه   فى الحياة الاخرى مع الصالحينا
ولنا فى الايمان اقوى رجاء   ان جوف الفناء لا يطوينا

على احمد باكثير

من أغانى الحبّ

للشاعر محمد مصطفى المليجى

ياحبيبى قد سجا الليل وفاضت عبراتى
يا حبيبى اطل النظرة فى عينى وترجم نظراتى
ياحبيبى ضل قلبى ذاهلا فى نبضاتى
وشرود الذهن يبدو ظاهرا فى حركاتى
حرقة القلب سطور ظهرت فى قسماتى
ياحبيبى انت آمالى وروحى وحياتى
ها هو الزورق بالشط يناديـنا فهيا
وخرير الماء يسرى نغما فى اذنيا
وبدا البدر مضيئا مشرقا طلق المحيا
يرقص المجداف شوقا وسرورا فى يديا
اطل النظرة فى عينى وهل شوقا اليا
واشرب الخمر سلافا عتقت فى شفتيا

اسماعيل مظهر صاحب رسالة

بقلم : محمود الشرقاوى



عرفت أستاذنا اسماعيل مظهر قبل خمس وثلاثين سنة منذ اصدر مجلته (العصور) فى سبتمبر ١٩٢٧ عندما بدات أكتب لها ، ثم تعرفت اليه فوجدت فيه رجلا واسع الثقافة جم النشاط متوقد الذهن متعدد نواحي التفكير موسوعى المعرفة يكتب فى الادب العربى ويكتب فى النقد ، وفى العلم والتاريخ ويترجم اصل الانواع لداروين ، والدين والعلم لاندرونكسون وايت ، ويترجم قصص تاغور وشعره ، ويضع كتابا فى سيرته ، ويؤلف كتابا علميا عميقا عن حياة الحيتان فى البحار والمحيطات ، وعن الحضارة الحديثة وازماتها ، ويكتب عن الاسلام كتابا يدل على فهم واخلاص عميقين ، هو كتابه : « الاسلام لا الشيوعية » . وهو فى ذلك كله كاتب ممتاز مخلص مجيد . ثم يضع قاموسه الانجليزى العربى متضمنا مائة الف كلمة فى ٢٥٠٠ صفحة .

ومن قبل ذلك كان يشتغل بالسياسة الوطنية على عهد مصطفى كامل وسعد زغلول ، حتى اذارای انحراف الساسة الى الذاتية ، ومتاجرة الزعماء بالوطنية ، تركهم جميعا وانصرف عنهم الى التبشير بالاصلاح الاجتماعى وانصاف الفلاح والدفاع عن حرية الفكر وتحقيق الخير للطبقات الكادحة الفقيرة المطحونة . وهو فى ذلك كله يكتب لغاية ويحرص على هدف ويدعو الى رسالة : رسالته فى الوطنية استقلال مصر وان تحكم نفسها حكما شريفا نزيها.

ورسالته فى الادب تثقيف النفس والبعد عن السطحية والترخص والابتذال والنفاق . يكتب فى ذلك الى ولده جلال مايجب ان يكون درسا لكل مفكر وكاتب واديب ، وبخاصة فى ايامنا هذه ، يكتب لولده فيقول :

(اذا اردت الاشتغال بالادب فلا تشغل نفسك الا بالرفيع منه ، وحذار أن تتدنى فيه ، فان اشتغالك برفيع الادب يخلق من حولك عالما انت فيه السيد ، واشتغالك بخسيس الادب يخفضك الى عالم انت فيه العبد الرقيق . الاديب الصحيح خلاق للمثل وللمعانى ، فاذا ما استطاع أن يخلق من حوله عالمه المستقل الخاص به ، اصبح للناس مثلا يحتذى وقبلة ياتمون بها . وفى اعتقادى ان ذلك منتهى مايصل اليه الاديب من نجح فى حياته الادبية) .

فهو اذن من أولئك العباقرة من الادباء الذين يرون أن أعظم مؤلفات الاديب هى حياته .

وكانت رسالته فى الصحافة تلك التى جعل شعارها ماصدر به العدد الاول من « العصور » : (حرر فكرك من كل الاساطير الموروثة ، حتى لاتجد صعوبة ما فى رفض راى من الآراء ، او مذهب من المذاهب ، اطمانت اليه نفسك وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه) .

وكانت رسالته فى المجتمع العربى هى الخروج به من ظلمات العصور الى نور الحياة المعاصرة ، فى الفكر والعلم والصناعة ، على أساس من تقاليدنا السليمة وثقافتنا الصحيحة التى لاتصد ولاتعوق ، وهو فى هذه الثقافة يقول : (... وما كان لشعب من الشعوب ان يحاول الافلات من اقطار ثقافته التقليدية الا باء بالفشل المحقق فيما يحاول . ذلك بأن الثقافة التقليدية هى الاصل الذى يرتكز عليه الطبع الماثل فى اخلاق الامم وطرق سلوكها فى الحياة وماقولك فى ثقافة يرتشفها الطفل مع مايرتشف من لبن امه وهو رضيع ، ويشب مكتنفا بها اذا ايفع ،

ويفتن بفنونها اذا صار فتيا ، ويغرم بها اذا اكتهل ، ويموت وهى مرتسمة فى تصوراته جميعا اذا هرم . » ص : ١٩ من كتابه : « فك الاغلال » .

وكان فهمه للدين انه دعوة لفضائل النفس وتربية الضمير وصفاء الروح والتجرد عن الشر والحرص على المثل الاعلى .

ورسالته فى ذلك العمل على غربلة العقيدة من الزوائد والشوائب التى دخلت الاسلام وهى ليست منه ، بل هى منافية لروحه مجافية لمقصده ، حسبها الناس منه بسبب الجهل وسوء الفهم عند كثيرين من رجال العقيدة . ثم اتخاذ الاسلام بعد ذلك منهجا للسلوك الفردى وحياة الجماعة .

كانت رسالته الحضارية لشرقنا العربى هى اشاعة التفكير العلمى . وكان ادراكه لذلك مبكرا جدا حتى انه اصدر ، وهو طالب ، صحيفة علمية توجيهية . كما كان اصراره على ذلك مستوعبا حياته كلها حتى انه — على كثرة ما كتب من فصول العلم والفن فى العلوم اشتغل فى سنواته الاخيرة بتأليف معجم علمى سماه : « معجم مظهر الانسكلوبيدى » وأصدر منه ثلاثة أجزاء ، وترجم فى كتابه : « سير ملهمة » ، لطائفة كبيرة من العلماء العرب ، تذكيرا لجيلنا العربى المعاصر بما كان لاسلافنا من مجد علمى ، وحفزا لنا على أن نستانف ، رسالتهم فيه .

وكما كان ادراكه العلمى مبكرا فى بدئه ، كان احساسه الاجتماعى وكانت دعوته الى الاشتراكية كذلك . دعا ، قبل خمس وثلاثين سنة ، لتاليف حزب اجتماعى سماه : « حزب الفلاح » . ونجد فى حديثه عن هذا الحزب أن الفلاح « أصل الثورة » . كما نجده يضع لهذا الحزب برنامجا مفصلا تضمن كثيرا من المبادىء التقدمية الاصلاحية . وهذه بعض مبادىء حزبه :

١ — التسوية بين الناس فى فرص الحياة .

٢ — الغاء الامتيازات الاجنبية بلا قيد ولا شرط .

٣ — سن قوانين لتحديد هجرة الاجانب الى مصر .

٤ — قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين .

٥ — فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث .

٦ — حماية العمال والفلاحين بقوانين تحدد أجور وساعات العمل وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع بناء منازل صحية مريحة للعمال .

٧ — جعل التعليم مجانا بجميع درجاته .

٨ — حق كل من العامل والفلاح فى التعويض عند الاستغناء عنه ، وحقه فى الاعانة عند البطالة مع التامين ضد الاصابة والشيخوخة .

٩ — تنظيم نقابات واتحادات طائفية ومركزية للعمال والفلاحين فى جميع الصناعات والدوائر الاقليمية .

١٠ — المساواة بين المراة والرجل فى الحقوق السياسية والاجتماعية .

١١ الغاء الرتب والنياشين . « مع انه كان سليل اسرة عريقة النسب يحمل ابوه وجده ارفع الرتب والنياشين » .

١٢ — تحريم ملكية الاراضى الزراعية على الاجانب

١٣ — منع تعدد الزوجات .

١٤ — تحديد الملكية الزراعية . « وقد كان يملك الفى فدان » .

١٥ — غرس روح الاخاء بين الامم .

عددى شهر اكتوبر ويونيو من سنة ١٩٢٩

١٩٣٠ من مجلة « العصور »

وكانت رسالة اسماعيل مظهر للفكر هى الحرص على الحرية المطلقة ، لا يقبل قيدا لها ولا حجرا عليها ولا استنقاصا منها من اية سلطة او قوة ، مادام رائد المفكر هو الاخلاص والتجرد والعمل للخير العام . فاذا انتفى الشك فى ذلك فليس لاحد أن يتهم ولا أن يحكم ولا أن يحاكم ، بل هناك القانون الحريص على حرية الفكر وتماسك المجتمع معا . نجد هذا الحرص على حرية الفكر واضحا جدا فى تلك الالاف الاربعة التى تكونت منها مجلة العصور فى سنواتها الاربع .

وفى الدفاع — بل الاستماتة فى الدفاع — عن حرية الكاتب وقف معى موقفا رائعا كريما فى قضية من قضايا الفكر هذه ، ونصرنى على طائفة تسارع الى

الاتهام وتسرع في الحكم ، بل الجور في الحكم ، وتقيم سلطانها على التسلط . وفي تثبيت هذه الحرية والدفاع عن قضاياها كتب يقول :

(... ان حرية الفكر كانت بردا وسلاما على كل مايصدر عن العقل الانساني من آثار ، سواء في ذلك الدين او الادب او العلم او الفن او ايما شيء يكون للعقل اثر فيه . ذلك بان الكلام في ذلك امر مفروغ منه ... ان الدين النصراني لم يكن في عصور الكبت الفكري الذي فرضه رجال اللاهوت على المفكرين ، باثبت اصولا منه في عصر حرية الفكر . واذن فلم يكن الكبت اللاهوتي للفكر الا خسارة كبرى حاقت نتائجها بالدين والعلم معا .

... ومن قبل كتب « فولتير » لواحد من خصومه : « حقيقة اني اخالفك في الراي ، ولكني على استعداد ، مع هذا ، للتضحية بحياتي في سبيل ان يكون لك الحق في نشره بين الناس » ... ان بعض الهيئات انما تستمد سلطانها من نزعة الجور والتعسف والاعتداء على الحق لا اكثر ولا اقل) .

وكانت رسالة اسماعيل مظهر للكرامة الانسانية يمثلها هذا الشعار : (خير لي ان اكون عبدا اطالب بحريتي من ان اكون حرا لا اساوي العبيد) .

اما اعظم رسالاته فهي صفاته واخلاقه ، تلك الصفات والاخلاق التي جعلت من حياته قصيدة رائعة وملحمة شريفة ، في الشمم والشجاعة والاخلاص للفكر واحترام القلم والنفس ، والتجرد من الشهوات والنزوات ، والعلو بالذات والكرامة ، مهما تدل الآخرون .

بسبب هذه الصفات والاخلاق خسر اكثر ماله ، ولقي الخصومة والعنت من فؤاد وفاروق وحكوماتهما . ولم يجد لقلمه المخلص ولا لفكره الخصب مجالا اكثر من عشرة سنين - بعد ان ترك رياسة تحرير المقتطف - حتى عضوية المجمع اللغوي لم ينلها الا بعد الثورة . واراد كبير من رجال القصر أن يمتحنه ويغريه بأن يقدمه الى الملك فينال عنده مايرجو ومايستحق . فسخر منه اسماعيل مظهر وزجره ، وبقي كما كان : يبذل ماله كله وجهده كله وحياته كلها في محاربة الظلم والظلام ، ومعاندة أصحاب السطوة والصولجان ، وارباب الصولة والتيجان . وفي تثبيت دعائم الحرية : حرية الفرد من الاستبداد ، وحرية الفكر من دعاة الرجعية وعبدة الاوثان .

في هذه الفترة الطويلة من انقطاعه ، وبعد عجزه المادي عن متابعة العمل لرسالاته هذه ، رحل الى الريف فعمل فلاحا يفلح الارض ، ويسقي الزرع ، ويجلس في ضوء القمر فوق « المصطبة » ويمشي وراء « النورج » ، ويلبس «الجلابية» : استاجر جزءا من ارضه التي نزعت منه ملكيتها ، واشترى عدة جواميس ، وبنى برجا للحمام ، يسرح الى « الغيط » ويغني او ينشد الشعر . ولم يك بهذا شقيا ولا مبتئسا .

لقيته في ختام هذه الفترة يوما في حجرة الصديق الاستاذ عزيز ميرزا ، رئيس تحرير جريدة «الاهرام» يوم ذاك ، ففرحت بلقياه ، وبادرته سائلا : ماذا عندك يا اسماعيل بك بعد هذه الغيبة الطويلة من اعمال الادب والفكر ..؟ فقال ، وهو يضحك من كل قلبه : ليس عندي سوى ان اقرا واربي الفراخ الانجليزي في العزبة ..! وكان في ضحكته الخالصة القوية وفي جوابه الساخر هذا عظيما قويا شامخا كانه قائد منتصر .

كذلك كانت نفسه القوية وروحه .

حتى جاء المساء لليوم الرابع من فبراير سنة ١٩٦٢ فانتهى اسماعيل مظهر بعد صراع الحياة وصراع المرض وصراع قوى الشر والجبروت اكثر حياته .

لقد سكن العقل النافذ المتوهج ، وتوقف القلب الكبير الرضي ، واستراح الروح المفتون بالحق والخير والايثار والتضحية والنفع ، في عالم نهاز سطحي الثقافة زائغ التفكير .

محمود الشرقاوي



الحاجات الثقافية فى الاقاليم

هذه الاصوات المنبعثة من زملاء لنا يعيشون فى الاقاليم وعواصم المحافظات ، تعرض مشكلاتها وتعبر عن حاجات ثقافية هناك ، لا ينبغى ان نضيق بهـا ونزور عنها، فهى دليل الحيوية والخصوبة فى شعبنا، والمطالب الثقافية دليل كذلك على التطلعات الروحية **فى مجتمعنا الاشتراكى الجديد الذى لايقصر همه على المطالب المادية اليومية ، بل يريد أن يصنع الحياة على ارضه لا بالمادة والصناعة فحسب ، بل كذلك بالثقافة والتكون الروحى .**

حقا ان بعض المطالب تشتمل على كثير من التطلع الخاوى والصراخ المبطل .. كهـذا الذى بعث الى برسالة يعتب فيها ويشكو مر الشكوى لانه أرسل الى رئيس التحرير مقالا لم ينشر ، **والمقال عن «ابن عقيل ودوره فى النحو» والرسالة التى بعث الى بها كاتب المقال الباحث عن دور ابن عقيل فى النحو .. مملوءة بالاخطاء النحوية .**

ليست المشكلة الثقافيـة الاولى فى الاقاليم هى النشر فى صحف القاهرة ومجلاتها وخطف الشهرة من عاصمة الجمهورية فى لمح البصر .. انما هى فى الحقيقة مشـكلة الزاد الثقافى الذى يكون المثقف ، ويتلمظ له لعاب الاديب الصادق الذى يعمل بجد على تكوين نفسه واستكمال عدته قبل أن يكتب وينشر . هذه المشكلة يعرضـــها علينا الناقد المنصورى الشاب « علاء الدين وحيد » كما يلى :

ارجو فى السطور التالية ان اعرض عليكم مشكلة عامة – استاهل الوقوف لبحثها – اراها اكثر حـدة واهمية من رغبة الناشئ خارج القاهرة فى نوال بعض [illegible] رغم [illegible] رغبة الانسان الطبيعية فى الشـهرة والسطوع ، الا انى اظنها من الشهوات الصغيرة التى يمكن كبتها بلا ضرر كبير او صغير ، وبالتالى لا حاجة ملحة الى هذا «الصيت» من العاصمة الضخمة ، مادام قد تم لذلك الفنان تكوينه الثقافى ، وانما المشـكلة التى اعنيها واجدها من الخطورة التى تئد ظهـور المواهب الجديدة، فهى حاجة الناشئ الى أدوات الثقافة التى تسهم فى تكوينه ، وبلفظ آخر حاجته الى اعداد نفسه فنيا للقيام بدوره الذى يقدره لغده .

الاقاليم فقيرة جدا فى أجهزة الثقافة ، واذا بدأت قصور الثقافة فى الانتشار ، فهى البداية فقط ، نعم انها ستكون التمهيد الطيب لاصحاب المواهب .. ولكن هؤلاء الذين خطوا الخطوة الاولى فى الطريق الطويل ، واعنى بها ادراكهم الفطرى انهم يستطيعون ان يمسكوا بقلم . هؤلاء الذين بدءوا الكتابة وظهر اسمهم مرة او أكثر متواضعا فى الاركان المعتمـة والصفحات الاخيرة فى بعض المجلات – دليل على رجاء بعض الامل من ورائهم – هذا الفريق هل يطلب منه – بل هل يطلب من نفسه – أن يقف عند حدود الخطوة الاولى بلا دراسة او بعض عناية من اساتذة وينتظر ساكتا صامتا حتى تكتمل مختلف الاجهزة الثقافية التى سوف ترعاه فى اقليمه ؟

وانى أقدم من عندى نموذجا .. انى احاول مثلا منذ وقت طويل ان أكتب عن احمد امين ، ولقد قرأت كتبه جميعا أكثر من مرة ، ولكنى كنت أعود فى كل مرة وارمى بالقلم . لماذا ؟

ان كتب احمد امين ليست كل المراجع لمن يريد أن يكتب عنه . وهذه المراجع لاوجود لها فى مدينتى لقد اردت على سبيل المثال أن أعرف جيدا – أكثر من مستوى المعلومات العامة بالطبع – من هو عاطف بركات الذى [illegible] كثيرا ، ولكننى لم

أجد فى اعداد بعض المجلات المتناثرة فى المكتبة العامة عندنا ، الا كلاما خفيفا لاأستطيع أن أعتمد عليه او اقدمه الى القارىء .

هذا قليل من كثير يواجهه الناشىء خارج القاهرة الذى يريد أن يكتب وخاصة فى البحث والنقد .. اننى اذا استطعت ان احصل على النص، فأين اعثر على «ما حول النص» وخاصة اذا كنت من هؤلاء الذين يعلقون اهمية ضخمة فى فهم النقود على ماحول النص .

الواقع ان الجهود الكبيرة التى تبذل لتوصيل الكتاب الى الاقاليم لاتزال فى اوائلها ، مثل قصور الثقافة ومكتباتها واسابيع الكتاب العربى .. الخ .. ولا شك انها ستتسع وتثمر اكثر .. وهى ولاشك تلبى حاجات التزود من المعرفة بطريقة فعالة ، وان كانت محدودة فى اولها .

ولكن هناك حاجة الباحثين والدارسين الذين يتطلبون المراجع الكبيرة والدوريات القديمة ، مثل مايطلب الاخ علاء الدين وحيد الذى عرض المشكلة ولم يقترح لها حلا .

الحل ــ فى رايى ــ عند دار الكتب ومؤسسات النشر الكبيرة فى القاهرة ، اما دار الكتب فعليها ان تزود فروعها فى الاقاليم بما يمكن من المراجع والدوريات .

ومؤسسات النشر ، كالمؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، والدار القومية للطباعة والنشر ، تقوم الآن بطبع ونشر كتب التراث وغيرها التى تضمنها مشروع المكتبة العربية الذى اختطه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . هذه الكتب يجب أن تزود بها المكتبات فى الاقاليم ، سواء فى فروع دار الكتب او فى دور الثقافة او فى النوادى والجمعيات المختلفة .

اهداءات مؤسسة التاليف

وينبغى ان يكون مفهوما أن دور هذه المؤسسات ليس تحقيق الارباح، انما مهمتها اولا وقبل اى شىء هى الخدمة الثقافية . ولهذا يجب أن تهدى مطبوعاتها الى مكتبات الهيئات والنوادى بسخاء وعلى نطاق واسع .

هذه مؤسسة التاليف والترجمة مثلا .. تهدى كتبها ومطبوعاتها لافراد معينين كلهم او معظمهم من الصحفيين . وقد رأيتها مكدسة عند أحدهم لم يفتح منها كتابا واحدا ، وقد ضاقت بها أوعية الكتب عنده فصارت أكواما بجانب الجدران .

هل تريد المؤسسة بذلك أن تكسب زملاءنا الصحفيين لانهم يملكون اقلاما تشيد بها ؟ هل هذا هو الخلق الاشتراكى الذى نسعى اليه ونرمى الى التخلق به .

وهناك الى جانب مايهدى الى الصحفيين او الذين رضيت عليهم ورغبت فيهم المؤسسة منهم .. عدد كبير من النسخ مخصص لاعضاء مجلس الادارة والرئيس والمدير العام يقدمون منه لاصدقائهم .. وزوارهم كما يقدمون السجائر .

أليست حاجات الشعب الثقافية فى مختلف القطاعات أولى بكل ذلك خاصة القطاعات المحدودة الامكانيات فى الاقاليم وعواصم المحافظات ؟

انى أقترح أن ينشأ جهاز فى كل مؤسسة نشر يتعرف الهيئات والجمعيات والنوادى الجادة المنظمة فى أنحاء البلاد ، ويرسل اليها كتب المؤسسة ومطبوعاتها بصفة منتظمة ، حتى يتحقق بذلك جانب من اشتراكية الثقافة ، وتلبى الحاجات الثقافية المختلفة فى هذا المجتمع الذى يسرنا ويسعدنا أن نرى تطلعاته الروحية ومطالبه الثقافية الى جانب مايزخر به من وسائل النهوض المادى والاقتصادى .

انت عمرى ... والاشتراكية

صحيح ان كثيرا من الناس ــ وفيهم المتعلمون ــ لايدركون دقائق الاشتراكية . . وصحيح ان الضجة التى أثيرت حول أغنية «انت عمرى» زادت عن حدها بعض الشىء وأخذت من الاهتمام أكثر من اللازم .

ولكن هل معنى هذا أو لهذا «يجب أن تتوقف الحياة فى مصر لا من اجل الاحتفال باغنية ولكن من اجل تعليم شعبنا اشتراكيتنا وما تعنيه وتعريفه بها » .

ذلك هو منطق الاخ يوسف ادريس فى مقال بالجمهورية عنوانه «لنؤجل الاحتفال بالاغنية . . ولينضم معنا عبد الوهاب وام كلثوم » .

وعلينا طبقا لذلك المنطق ان «نكف عن الاستماع الى الاغانى ثلاثة أشهر فقط ، فلن نموت ، لنتوقف

الصحف عن نشر الحوادث والاخبار فلن يفوتنا الكثير ، ليكف التليفزيون عن تمثيلياته التى ربما افادنا توقفها صحيا » .. الخ ..

اوامر مثل اوامر الحاكم بامر الله : يجب الا **ناكل الملوخية ! علينا ان ننام بالنهار ونستيقظ ونعمل بالليل !**

كيف تتوقف الحياة باخ او تسجن ثلاثة اشهر فلا يكون الا تعليم الاشتراكية؟ ولنفرض انك ستكتب مقالات عن الاشتراكية ، **فالى م تدعو عبد الوهاب** وام كلثوم ؟ هل يسير كل منهما فى الشارع ويقف فى حلقة كحلقة «الحاوى» يعرف الناس بالاشتراكية.

ثم قل لى : من يعلم الناس الاشتراكية اذا كان المثقفون ـ كما تقول انت ـ لايفهمون الاشتراكية مستدلا بالمحامى الذى كتب اليك يناقشك فى مسالة تمليك الشقق فاعتبرت هذه المناقشة انحرافا عن فهم الاشتراكية ؟

ثم تعال .. لننظر فى اغنية انت عمرى أثر فى سماعها وما فيه من خطر على الاشتراكية .. انا شخصيا عندما اسمعها احس بانى اريد ان اعمل .. يدى تتحرك لتمسك بالقلم ، والفن النابض يحرك دواعى الفن ويبعث الرغبة فى العمل ، اليس العمل قيمة اشتراكية ؟ واحس كذلك بنفسى تصفو وتسمو وتميل الى ان تصفح عن كل خطا وان تتعاطف مع الجميع وتسالم كل الناس ، اليس هذا من الخلق الاشتراكى ؟

وعندما يسمع العرب فى كل مكان ام كلثوم ويطربون جميعا فى «وحدة شعورية» الا يكون ذلك من دواعى الالتقاء الروحى بينهم » ؟.

ثم تعال أيضا .. أليس من أهداف اشتراكيتنا تحقيق المتعة والسعادة والبهجة للفرد ؟ وماذا فعلت غير ذلك أغنية انت عمرى ؟

هل أقول لك كما قلت للمحامى ظلما : انك لاتفهم الاشتراكية ؟ وعلى هذا يجب أن تتوقف عن كتابة المقالات ثلاثة أشهر .. لتغنى وتلحن مثل ام كلثوم وعبد الوهاب ... حتى تحقق معانى واهدافا اشتراكية مثلهما ..

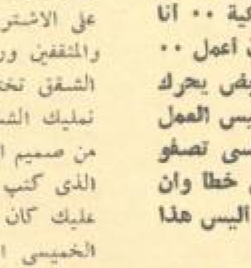
لا ، لن أقول هذا ، فلكل عمله ، ولكل ميدانه ، والاشتراكية لاتطلب من أحد أن يتوقف عن عمله ليعلم او يتعلم الاشتراكية ، **لأنها انما تتضح وتفهم من خلال العمل وبالممارسة الطويلة .**

ثم لماذا عدت فى مقال تال وتحدثت عن أغنية انت عمرى بالذات ، فاشتركت فى الاثم الذى نهيت عنه ؟

اتريد الجد ؟ انا افضل لك الان تكتب قصة مضمونها اشتراكى بدلا من هذه المقالات ، زاول فنك كما يزاول عبد الوهاب وام كلثوم فنيهما ، هذا اجدى على الاشتراكية من الصراخ والتعالم على المحامين والمثقفين ورميهم بالجهل فى مسالة كمسالة تمليك الشقق تختلف فيها وجهات النظر ، فاذا كنت ترى تمليك الشقق لايتفق مع الاشتراكية فغيرك يراها من صميم الاشتراكية، وبدلا من أن تقسو على المحامى الذى كتب اليك ولا يملك مساحة صحفية يرد فيها عليك كان يجب أن تناقش زميلك عبد الرحمن الخميسى الذى كتب فى تحبيذ المشروع وقال انه من تطبيقات الاشتراكية .

كان هذا هو الأليق بك ككاتب اشتراكى يدين بمبدأ تكافؤ الفرص .

عباس خضر



رسالة العلم

دنيا الذرة

للدكتور محمد محمود غالى

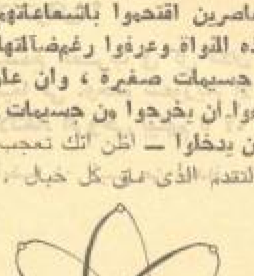
عرضت فى اول مقال لى فى الرسالة بعد عودتها موضوعا بعنوان « **ضرورة التقارب بين الادباء والعلماء » ، وذكرت ان التطور الحادث فى العلوم وما حققه الانسان فى عصر الذرة والاقمار المصنوعة من نجاح يحتم على الادباء ان يطلعوا على هذا التطور الذى تاثر به ادباء الغرب ، كما انى دعوت العلماء فى بلادنا الاطلاع على المؤلفات الجديدة فى الفلسفة والادب كما يفعل علماء الغرب .؟**

وتمشيا مع هذه الرغبة عرضت فى مقالى الثانى بعنوان « نداء لاهل الرأى » نبذة عن تاريخ الطيران فى الستين سنة الاخيرة ، وتطرقت الى الاقمار المصنوعة وسفن الفضاء واحداثها لم تتجاوز سبع سنوات .

واعتقد انتى ساعود الى هذا الموضوع وعلى صفحات الرسالة كلما جد فيه جديد فالعالم يترقب انتصارات مقبلة فى هذا الباب مثل احتمال وصول الانسان الى القمر والعودة منه ، واحتمال رحيله الى الكواكب القريبة كالزهرة والمريخ .

هذا ما حدث وما ينتظر حدوثه فى موضوع الاقمار المصنوعة ومركبات الفضاء . **اما ما حدث فى دنيا الذرة فهو اعجب بكثير ، وهو اعظم ما وصل اليه الانسان من معرفة فذرة العنصر وليكن الهيدروجين او الاكسجين او النيون او اى عنصر من العناصر المائة واثنين المعروفة اليوم تتكون من عالم كامل ولكنه متناه فى الصغر** . بحيث انه اذا امكن وضع عشرة ملايين من هذه الذرات الواحدة جوار الاخرى فاننا نكون قد بلغنا فى الطول ملليمترا واحدا ، اى ان قطر الذرة هو واحد على عشرة ملايين من الملليمتر ، وهى مع ذلك عالم كامل كعالمنا الشمسى ، فهى تتكون من نواة وسطى كالشمس يدور حولها كهارب اى الكترونات ، وهذه الالكترونات التى تشبه الكواكب فى عالمنا الشمسى تدور حول نفسها ايضا كما تدور الارض والمريخ والمشترى حول نفسها مع ادارتها حول الشمس واذا اردت ايها القارىء الآن ان تتخيل حجم او قطر هذه النواة فاتعلم أن قطرها يساوى واحدا على مائة الف من قطر الذرة ، بمعنى ان هذه النواة تشغل فى الطول مسافة قدرها واحد على مليون المليون من الملليمتر — اى اننا اذا تصورنا مسافة فى الحيز مقدارها فى الطول واحد على مليون من الملليمتر فاننا نستطيع ان امكن لنا ذلك ان نضع فى هذه المسافة المتناهية فى الصغر مليونا من النوى الواحدة جوار الاخرى .

اما وقد تصورت النواة وضآلتها فلتعلم ان علماءنا المعاصرين اقتحموا بشعاعاتهم وجسيماتهم الضئيلة هذه النواة وعرفوا رغم ضآلتها انها بدورها تتركب من جسيمات صغيرة ، وان علماءنا اخرجوا منها ما شاءوا ان يخرجوا من جسيمات وادخلوا فيها ما شاءوا ان يدخلوا — اظن انك تعجب معى لهذا النوع من التقدم الذى فاق كل خيال .



شكل (١)

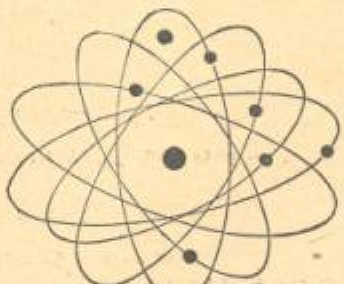
ذرة الكربون

وفى الشكل (١) صورة لذرة الكربون ، وتتركب هذه الذرة من نواة وسطى — لا تدخل فى تفاصيل تركيبها الآن — يدور حولها وبعيدا منهلستة كواكب .

وفى الشكل (٢) صورة لذرة « النيون » وهو ذلك الغاز الاحمر الجميل الذى يزينون به فى انابيب خاصة الاعلانات ليلا وواجهات المحال التجارية ، وتتكون هذه الذرة من نواة وسطى يدور حولها الكترونان قريبان منها ثم يدور فى مدارات أخرى بعيدة عنها ثمانية الكترونات .

اما اذن أن يتطلع الاديب الى ذلك وان يحاول التعرف على هذه الكشوف الحديثة والا سيكون كذلك الرجل الذى وقف امام القاطرة فلما رأى العامل يحمل الفحم اليها عرف انها تسير بالحرارة التى يولدها الفحم ، ولما راى العامل يحمل البنزين الى السيارة عرف مع شرح بسيط ان البنزين هذه المرة هو الذى يحترق ، وميكانيكا معينة تسير بوساطته السيارة ، ولما تطلع الى الترام يسير دون وقود من الخارج وسألوه كيف يسير الترام فكر كثيرا ولم يهتد واخيرا قال لمحدثه « هذا الرجل يقصد السائق لا بد أن يكون فيه شيء لله » .

ولو انه صادف من يشرح له الكهربا وكيف تولدت ويشرح لعقمة العالم « فرداى » الخالدة لفهم السر فى سير مركبة الترام فى الشوارع وصعود المصاعد فى العمارات والمنازل .



شكل (٢)
ذرة النيون

كل شيء هنا له سبب وله تفسير وله نتائجه المحتومة — القمر المصنوع يدور حول الارض او حول القمر ثم يعود بالطريقة ذاتها التى تدور بها الارض حول الشمس ويدور بها القمر حول الارض ، وهل يوجد فى الارض او فى القمر محرك يعمل على دورانه أم ان القوانين الطبيعية هى التى تتحكم فى هذا الدوران ، كذلك الالكترون يدور حول نفسه ، ويدور فى الوقت ذاته حول نواة الذرة بسرعة عجيبة ، وهذه السرعة أصبحت معروفة وفقا لقوانين الطبيعة .

هذه لمحة سريعة عن دنيا الذرة وسنعود اليها فى مقالاتنا القادمة لنستعرض اعظم ما ورثه الانسان من معرفة .

واذا كنت ايها القارىء والكاتب الاديب مولعا بقراءة بعض التراجم لرجال عاشوا فى زمان مضى ، ولعل من احسن هذه التراجم « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » لابن خليكان ، وقد ترجم الى الانجليزية والى الفرنسية وقام بترجمته « رى سلبين » وكذلك ملحقه فوات الوفيات لابن الكتبى فهل استطيع اقناعك حتى لا يفوتك القطار ان تطالع بعض التراجم والكتب الحديثة باللغة العربية او بلغة التى تشاؤها عن علماء معاصرين هزوا العالم هزا امثال « البرت اينشتاين » الذى كشف النسبية الخاصة والنسبية العامة « وجان بيران » الذى قاس شحنة الالكترون « وماكس بلانك » الذى وضع نظرية الكم « ونيلز بور » الذى فسر خطوط الطيف بالرجوع الى فكرة الكم (وباولى) الذى يقرر أن هذا الالكترون الدائر الحائر لا يمكن وجوده فى حالة كم معين ووجود غيره فى حالة الكم ذاته ، « وهيزنبرج » وغيره ممن غيروا نظرتنا لحقائق الكون الذى نعيش فيه ، ولعلى قصدت هنا بتراجمهم اى اعمالهم — اذ ماذا تعنى التراجم دون الاعمال .

وانى أؤكد للقارىء ان كل هذه المسائل العويصة فى العلوم من الممكن تبسيطها للقارىء والاديب وهو ما سأحاوله هنا على صفحات الرسالة ارجو الا تمضى ياسيدى الكاتب والاديب زهرة شبابك وشطرا من كهولتك او شيخوختك فى الاطلاع على القديم وعلى القديم وحده فكتاب « الضوء اللامع لاهل القرن التاسع » للسخاوى ، وكتاب « الكواكب السائرة فى اعيان المائة العاشرة » للنجم الغزى ، وكتاب « خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر » للمحبى ، وغير ذلك من الكتب التى لا اشك فى قيمتها وان كانت لا تغنيك كثيرا عن معرفة العالم الحديث الذى نعيش فيه ودنيا الاقمار والذرة .

صدقنى ايها الاديب انه مع احترامى لكل هؤلاء ومع تقديرى لمصنفاتهم فقد انتقل العالم الذى انت فيه الى حيث يجب أن تنتقل معه وتتابعه ولا تدع الفرصة تفتك دون التعرف عليه ، وقد أصبح لدى

الناس من الحقائق العلمية ومن اخبار العلماء المحدثين ما يجب ان نعرفه ونفكر فيه .

واذا كان كتاب نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين بن الخطيب من لم يقراه ليس بالاديب .

هكذا اضافوا على اسم الكتاب كلمات « من لم يقراه ليس بالاديب » وهو كتاب قيم لابن المقرى — اذا كان هذا الكتاب الذى من لم يقراه ليس بالاديب فاسمح لى ايها القارىء العزيز ان اذكرك ان من لم يطلع على العلوم الحديثة وعلى احداثها المثيرة وعلى مواضيعها الفلسفية وعلى اخبار المعامل ويظل دائما فى القديم فانه لايكون اديبا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة

هذه لمحة خاطفة دعانى الى الخوض فيها تلك الاحداث العلمية الاخيرة — الاقمار المصنوعة ودنيا الذرة والتفجيرات النووية — ذكرتنى دنيا الذرة بالشمس والكواكب التسعة التى تدور حولها — وذكرتنى التفجيرات المؤسفة والتى سنخوض فى تعريفها وكنهها قريبا بنواة الذرة العجيبة ودنيا هذه النواة ، ثم ماذا تكون هذه وتلك فى ذلك الكون العجيب — هذا الكون الغامض — وما الشمس وكواكبها التسعة الا كحبة رمل من رمال الشاطىء ، ثم تأملت الليلة بعد ذلك فى الانسان ، **هذا الكائن الحى الذى يسمى جهد طاقته المعرفة والذى استطاع ان يعرف الكثير عن هذا الكون الفسيح .**

دكتور محمد محمود غالى

الأدب في أسبوع



يقدمه : محمد عبد الله السمان

● **مسرحيتان :**

عشت ساعات طوالا مع مسرحيتين جديرتين بكل تقدير للأستاذ : محمد طاهر ، هما : « **رئيس مجلس الادارة** » ، « **وعلى راى المثل** » .

يقول المؤلف عن مسرحيته الأولى : هذه المسرحية عن عالم الشركات ، وعالم الشركات كان ولا يزال ـ الى حد ما ـ حتى بعد أن دخلت الشركات فى مجال التطبيق الاشتراكى عالما مليئا بالغموض والأسرار ، فلايعرف خباياه الا قلة تملك فيه السيطرة والتوجيه ، والصورة التى رسمتها المسرحية صورة مجسمة لما كان يحدث بشكل أو بآخر من بعض مجالس الادارة » .

المسرحية محددة الأشخاص ، وهم بضعة باشاوات مع أحد أفراد البيت المالك ، تجمعهم المصلحة المشتركة ، **محمد باشا الفاخورى** ، البطل ، كان مدرس حساب ، ومقاولا متواضعا فى نفس الوقت ، استطاع باتقانه عملية حساب الارقام ، أن يكون رئيسا لمجالس ادارات عدة شركات كبرى تتعامل بمئات الألوف من الجنيهات ، وأن يستغفل الأعضاء ليثرى ثراء فاحشا على حساب جهلهم تارة ، وارضائهم تارة أخرى بشتى الوسائل . ثم **سيد باشا ابو المعاطى** رئيس الوزراء السابق ، **وطلعت باشا أحمد** الصحفى ، **واحمد باشا فهيم** المهندس والوزير السابق ، **والأمير ممدوح** ، والباشا الريفى **ابراهيم ، وعبد الستار بك** المقاول ذو الزى البلدى ، والأستاذ **شاكر** السكرتير الخاص للفاخورى ، ثم **أحمد** الشاب ذو الضمير الحى مدير حسابات الشركة ، الذى جمع الحب بينه وبين ابنة الفاخورى ، ولكنه حين يكتشف اختلاس الفاخورى ستين الف جنيه فى عملية واحدة ، يضحى بحبه وقلبه ، ويفاجىء الفاخورى بذلك ويهدده تهديدا أودى بحياته .

الحق اننا لم نر من قبل مسرحية كاملة عن مهازل الشركات ، وكل ما شهدناه ، اقحام بعض رجال الشركات فى مسرحيات تحكى مهازل العهد السابق ، وهذه المسرحية جعلتنا نظل الوقت كله مع مجلس الادارة حتى قدمت المأساة مجسمة فى اطار واحد ، ومع أن الجانب العاطفى لم يتسلل الا خافت الضوء فى هذه المسرحية ، حين اعجب اعضاء مجلس الادارة **بسميحة** السكرتيرة ، الا أن المسرحية جذبتنا اليها وجعلتنا نعيش كل لحظة مع حوارها وأحداثها .

أما المسرحية الأخرى « **على راى المثل** » فهى تعالج ـ كما يذكر المؤلف ـ بعض أمراض العصر المادى الذى يطبق علينا بكل قواه ، وفكرتها فى غاية البساطة والايجاز معا : انسان يعيش فى مستوى أعلى من دخله ، ثم يهرب من ماضيه ، وتفشل بالطبع خطة الهرب .

حميدة البطل حلاق القرية يطرده طبيب الصحة بعد أن أخطأ فى اعطاء حقنة لمريض وكاد الخطأ يودى بحياته ، ويستقر به المقام فى حى شعبى بالقاهرة الى جوار شقيقه **صميدة** صاحب صالون متواضع ، يكافح حميدة من أجل تعليم ابنيه **حسن وحسين** ، حتى يصبحا موظفين محترمين ، ويشتغل حسن الموظف باحدى الشركات الكبرى ، ويرفض أن يلتصق بماضيه ، فيفرض ديكتاتوريته على والدته **نبوية** ويحملهما على أن يرتديا ثيابا زائفة تتفق والمدنية ، وعن طريق الاقساط يشترى قطعة أرض باحدى ضواحى القاهرة ، لتقام عليها فيللا أنيقة ، وتؤسس بافخر الرياش ، ويغادر الجميع شقتهم المتواضعة بايجارها المتواضع الذى لم يزد على الجنيهين ، وبعد شهور

معدودة يعجز دخل الأب المكافح ، ومرتب حسين الساخط ، ومرتب حسن نفسه عن مواصلة تسديد الاقساط التي بلغت خمسة آلاف جنيه يجب أن تسدد على عشرين عاما ، افتعل حسن كل هذا ليظهر أمام خطيبته **سعاد** ابنة دكتور الشركة **حمادة** بالمظهر اللائق ، متوهما أنه من الممكن أن يهرب من الماضي ، ووسط القلق الذي ساد الأسرة بسبب توقيع الحجز على الفيللا من شركات متعددة دائنة ، يذهب حسن ووالداه الى منزل الدكتور ليخطبوا ابنته سعاد ، ووسط هذه الفرحة التي لم تتم ، تقع المفاجأة ، فقد كان الدكتور حمادة ، هو نفس طبيب القرية الذي سبق أن طرد حميدة الأب الحلاق من قريته ، وتقف سعاد على المفاجأة فتترقرق في دموعها ، ويتهالك حسن على كرسيه دون أن ينبس ببنت شفة ، ويهرول الأب والأم الى الخارج ، ليعودوا الى الحي الشعبي الذي جاءا منه ، قبل أن يصم آذانهما صوت جرس المزاد العلني في الفيللا الأنيقة المعروضة للبيع .

لا شك أن المسرحية دليل على أن العمل الفني المتكامل بدون عناصر المبالغة والمصادفة والاثارة العاطفية جدير بالتقدير ، بيد أن المنظر الثاني من الفصل الاول اقحم اقحاما على المسرحية ، وهو منظر يكاد ينحصر في تقديم صورة صادقة عن متاعب طبيب القرية ، وتبقى المسرحية بعد ذلك متضمنة كل مقومات المسرحية الأصيلة ، والكاتب يمتاز بالاقلال من شخصيات المسرحية ، ليتمكن من تسليط الأضواء عليها جميعا ليبعث فيها الحركة والحياة .

***

● **تقاليدنا .. والأدب المكشوف :**

ان الأدب المكشوف هنا لم يزل بخير وعافية ، يخرج لسانه لتقاليدنا ، ويتهافت عليه الشباب المراهق من الجنسين ، وتتهالك عليه شركات الانتاج السينمائي لتبعث فيه الحياة المتحركة على الشاشة ، وتدفع فيه الألوف من الجنيهات ، حتى اذا حاولنا ان نحصي أفلامنا التي بلغت المئات في السنوات العشر الماضية ، لأربى رصيد الأدب المكشوف على ٩٠٪ ، ولا أظن أن كتاب هذا اللون من الأدب – ان جاز له ان يسمى ادبا – قد عملوا أي حساب لبيئتنا الشرقية وتقاليد ديننا ، وهم واثقون بانه من الممكن أن تتصدى لهم بعض الاقلام – لحاجة في نفس يعقوب – وبعض الخطب المنبرية ، التي لا يعتد بها ولا يعول عليها ، ولذلك يسيرون في طريقهم غير عابئين بصرير الأقلام او ثرثرات الخطب والمواعظ .

وما حدث في انجلترا أخيرا جدير بالوقوف عنده كثيرا ، فقد صادرت الرقابة هناك كتابا صدر منذ مائتي سنة بعنوان « ماني فيل » أو « مذكرات امرأة الملذات » ، من تأليف الكاتب الانجليزي « جون كليلاند ١٧٠٩ – ١٧٨٩ » ، وقد صدرت طبعة جديدة منه منذ شهور وبيع منها أكثر من ثمانين الف نسخة في امريكا واوربا ، وحاول الدفاع عن الناشر الانجليزي أن يقنع القضاء بالافراج عن الكتاب مستندا الى نفس الأحكام التي أباحت نشر كتاب « عشيق الليدي تشاترلي » بعد مصادرة دامت ثلاثين عاما ، ولكن القاضي الانجليزي لم يقتنع بوجهات نظر الدفاع ، وأيد المصادرة غير مستسيغ نشر مذكرات احدى بنات الليل أيا كانت الأسباب .

اذكر أن الاذاعة منذ سنوات وجهت سؤالا الى اديب عراقي كبير ، عن أعظم كاتب في مصر ، فأجاب ، ان أقوى كاتب هو الأستاذ **احسان عبد القدوس** ، الذي استطاع أن يكتب قصتي : « **الوسادة الخالية** » و « **لا أنام** » في بلد فيه الأزهر والمؤتمر الاسلامي .. !

وبعد – فالأدب المكشوف عندنا لم يزل يتسلل الى بيوتنا ، ويغزو قلوب شبابنا المراهق وشاباتنا المراهقات ، ولكن ما هو أدهى وأمر ، انه سريع التحول الى الكلمة المسموعة في اذاعتنا ، والصورة المتحركة في التليفزيون ، وهذا موضع الخطورة ، حتى أصبح هذا الأدب العاري يمثل مكانا مرموقا في مسرحياتنا المذاعة أو المصورة ، والوعي لا يحرك ساكنا ، والتقاليد والآداب مغلوبة على امرها ، والرقابة الفنية قد ترتدي أحيانا عمائم شيوخ الحنابلة ، ولكن هذه العمائم سرعان ما تهتز أمام نفوذ المرتزقة والمنتفعين ، وهم أصحاب الحول والطول .

● **مع مجلة الشعر .. ايضا :**

ظهر العدد الثاني من مجلة الشعر ، كتب افتتاحية الدكتور **عز الدين اسماعيل** المدرس بكلية آداب عين شمس ، فقدم بحثا مستفيضا عن « **النسيب في**

مقدمة القصيدة الجاهلية » ، **وكتب الأستاذ فاروق خورشيد** بحثا جيدا عن « **الشعر والسيرة الشعبية** » وكتب الأستاذ **عبد الفتاح غبن** بحثا مستوفيا عن : « **بيرم التونسى الشاعر** » ، وكتب الأستاذ غالى شكرى بحثا تحليليا عن قصيدتى الشاعر صلاح عبد الصبور : **رحلة فى الليل** » و « **الظل والصليب** » ونشر فى هذا العدد من الشعر العربى قصائد : **للعوضى الوكيل ، وعبد العليم القبانى ، ومحمد الحديدى** ، ومن الشعر الحر أو الحديث ، قصائد : **لفتحى سعيد ، وفرج صادق** مكسيم ، وعزيزة كاتو ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، **وابراهيم عزت ، ومدحت قاسم** • وأخيرا قدم مكتبة الشعر : توفيق حنا عن **رباعيات صلاح جاهين ، وكمال نشأت عن ديوان ديلان توماس ، وعفت الشرقاوى** عن ديوان **عادل الغضبان** « **من وحى الاسكندرية** ، ثم **صبرى حافظ** عن ديوان « **فى شمس دوارى** » **لفواز عبيد** •

هذا مجرد عرض لمحتويات العدد الثانى من مجلة الشعر ، لنخرج من هذا العرض السريع بملاحظتين : **الأولى** أن كمية الشعر الحديث أو الشعر الحر تكاد تطغى على الشعر العربى ، والنسبة كما هو واضح ٣ : ٦ ، أى أن الشعر الحديث ضعف الشعر العربى ، وليس معنى هذا أننا نضطهد هذا الشعر الحديث ونغلق دونه الأبواب ، بل نود الا يصل طغيانه على الشعر العربى فى مجلة للشعر العربى الى هذا الحد من الافتعال •

والملاحظة الأخرى تتصل بالأبحاث ، فاذا جاز لبحث متصل بموضوع أصيل أن يقتطع من صفحات المجلة بضع عشرة صفحة ، كأبحاث الدكتور عز الدين اسماعيل ، وفاروق خورشيد ، وعبد الفتاح غبن ، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يقتطع من صفحات المجلة المعدودة مقال غالى شكرى عن قصيدتين من الشعر الحر للأستاذ صلاح عبد الصبور ست عشرة صفحة ، اللهم الا اذا كان الافتعال أيضا سمة من سمات مجلة الشعر •

من اخبار الأدب

● ستظهر سلسلة اقرأ التى تصدرها دار المعارف منذ زهاء عشرين عاما فى ثوب جديد ابتداء من شهر يوليو القادم ؛ سيكون الكتاب الأول بقلم الاستاذ العقاد بعنوان : القراءة فن •

● ستصدر يوميات الأستاذ العقاد فى اربعة أجزاء ، خلال هذا العام ، صدر الجزء الأول فى ٤٥٠ صفحة •

● صدر للأستاذ محمد مجاهد المفتش السابق بوزارة التربية والتعليم كتابا عنوانه « الأيام والليالى فى قرية الاقطاعى مع قصة حياتى » •

الكتاب مذكرات سياسية وتاريخية عن فترة ما قبل الثورة وجاءت فى صور أدبية مؤثرة •

● بدأت الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابة موضوعات مسلسلة عن مؤتمر المستشرقين فى ملحق الجمعة لجريدة الأهرام ، كتبت الحلقة الأولى فى عدد الأسبوع الماضى •

● ستصدر قريبا للدكتور محمد غنيمى هلال « النماذج الأدبية فى الدراسات المقارنة ، كما سيصدر أيضا للأستاذ أحمد حمروش كتاب عن تاريخ المسرح ، تناول فيه أبرز الشخصيات التى ظهرت على المسرح المصرى •

● صدر للأستاذ العوضى الوكيل ديوانه الجديد « ناشات ونور » يضم الديوان مائة قصيدة تتحدث عن الطبيعة والحب والحياة •

● سيقيم نادى القصة بالقاهرة ندوة شهرية ابتداء من أول الشهر القادم ، يحضرها واحد من كبار أدبائنا ، سيكون ضيوف الندوات فى الأشهر الثلاثة القادمة على التوالى الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد •

محمد عبد الله السمان



الكتب
نقد وتعريف
يقدمه تحسين عبد الحي

نفوس ثائرة ..
مجموعة قصص جزائرية ..
تأليف : عبد الله ركيبي ..

ما اروع الأدب .. عندما يكون تعبيرا عن واقع الحياة والمجتمع بتحولاته وتحركاته النضالية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. عندئذ يكون الأدب – والقصة بالذات – هي تلك المرآة الصافية الصادقة التي تنعكس عليها الأبعاد الحقيقية لنفسية الجماهير وتطلعاتها .. الذاتية منها والجماعية، اما أن تكون القصة كأداة للتعبير – كل همها التسلية واثارة غرائز المراهقين والتخبط في الآفاق المظلمة الباهتة ، فانها تفقد بذلك عنصر العمق والشمول الانساني ، ولا نستطيع ان نصف كاتبها الا بانه عاق للفن وللواقع معا .

اننا نود لقصتنا ان تكون تعبيرا حيا عن عواطف الشعب واحاسيسه وأن تكون فنا للحياة النابضة الجديدة .. حياة التطلع والأمل وبالتالي نود أن تكون رمزا لليقظة والتطور لا رمزا للتخدير ، للسكون والموت .

هذه رسالة القصة – كما افهمها – رسالة انسانية صميمة ، « رسالة تصف الداء وتقدم العلاج في الوقت » رسالة تفتح العيون لتطل على عالم الخير والحق والجمال ، وتبعث الامل والحياة في نفوس عذبها الالم واضناها الشقاء وقتلها اليأس ، فهناك شعب كامل باحلامه وآماله طرد من وطنه واصبح جائعا لاجئا مشردا في الوقت الذي يتمتع فيه الصهيونيون بارضه واشجار زيتونه .. اين هو في ادبنا ؟ .. هناك وطن اكبر .. وطن العروبة بمافيه من ملايين تحن الى الوحدة وتصبو الى الرفاهية والغد الافضل .. كل هذا جدير بان يحرر روائيينا من اوهام عششت في نفوسهم وعقولهم حتى اصبحوا يعيشون في حلقة مفرغة .

ان الفن ثورة قبل اي شيء آخر .. ثورة على القيم البالية العتيقة .. ثورة على القوالب الجامدة المتحجرة ، فعليهم ان يكونوا ثوارا في كتاباتهم – لانسخا مكررة من اناس لم يعيشوا ظروفنا وتجاربنا ، ان الذين لايفهمون الفن الا انه تأوهات وعبرات وهمسات وتنهدات خرساء ، لا يعرفون حقيقة الفن وقيمته وايجابيته ، وهم في الوقت نفسه سلبيون في تفكيرهم وكتاباتهم .. يعيشون في قواقع لا تعرف النور ولا الحياة بما فيها من الم وحرمان .. الم الجوع والتشرد من ارض الوطن السليب .

وكتاب اليوم ، هو مجموعة قصص جزائرية للأديب الثائر المناضل – عبد الله ركيبي – نموذج لما ينبغي أن تكون عليه القصة العربية النضالية .. فان قصصه جميعا تدور حوادثها اثناء الثورة الجزائرية ، وتصور شخصياتها جميعا ثوارا جزائريين ، وهي قصص أناس عاديين ، مشغولين بمعاشهم وأبنائهم وأعمالهم وهم يثورون من أجل ذلك كله ..

ان عبد الله ركيبي لا يقدم لنا في هذه المجموعة شخصيات ولا احداثا خارقة – فهو يدرك أن تصوير الانسان لايكون الا بتصوير انسانية البطل ، وهو يدرك ان ابطال الجزائر هم كل شعب الجزائر . والانسان الذي عاشر الثورة سنين عدة تصبح الثورة عنده جزءا من نسيج الحياة .. ولا نجد في هذه القصص دعاية او ملقا او تطبيلا ، وانما نجد افرادا عاديين ، فهذا رابح شقور الفلاح ببقرته وحرمانه ، وذاك عمار راعي الغنم وهذا مرابط الدليل ثم علي الذي كان يعمل سائقا للقومندان الفرنسي والذي أصبح ضابطا من ضباط جيش التحرير .. كلهم أفراد عاديون .. يحبون الحياة ويقدسون المثل والقيم الانسانية .

وقد استطاع الكاتب ان يقدم لنا من خلال قصصه صورة واضحة لمراحل الثورة الجزائرية وان كان قد قدمها لنا عن طريق نماذج مختلفة .. فهي تبدا

عندما أحس رابح شقور بالحرمان من ارض وطنه المحرمة عليه والمحللة للمستعمر الفرنسى (فرانسوا) فيقول – ص ٢٩ – محدثا نفسه « لم لا يكون لى ثوران أحرث عليهما هذه الأرض فتدر على خيراتهامن قمح وشعير .. ! ثم يقبض الفرنسيون على رابح بتهمة مساعدة الثوار لتبدأ مرحلة جديدة فى قصة « وجود ولكن » وهى مرحلة التفكير فى الثورة نتيجة لهذا الحرمان والشعور بالكرامة المهدورة فيقول بطل قصة « وجود ولكن » – ص ٣٩ – .

انهم يذكروننى بوجودى الناقص – وبانسانيتى المقيدة .. بحياتى المبتورة .. بكيانى الذى يحتاج الى شىء آخر .. شىء غير الحياة والحركة والتنفس .. شىء يعطينى المعنى الحقيقى لوجودى .. لذاتى كانسان .. اننى احتاج الى الحرية .. الى هذا الشىء الذى لامعنى لوجودى من غيره ولا قيمة لانسانيتى بدونه ..

لم تبدأ مرحلة العمل فى قصة راعى الغنم عندما يتحول عمار الراعى الى مقاتل – يحلم احلاماجديدة ويفكر فى غيره بعد أن كان يفكر فى نفسه » ص ٥٢

وتأتى قصة المغارة لتبين مرحلة العمل والنضال ضد الاستعمار وضراوته ويؤكد المؤلف فى « قصة لم تتم » وحدة العمل الوطنى مبينا دور المثقفين فى معركة التحرير الجزائرية .. فيقدم لنا الأديب الذى قبض عليه بتهمة كتابة القصص الثورية .. واستطاع المؤلف أن يتجرد من الحدود الاقليمية الضيقة ليقدم لنا فى « قصة لم تتم » **لمحة تنم عن شمول نظرته وحساسيته القومية العربية ، فيقول – ص ٧٢ – مصورا القبض على الأديب بقوله ..**

« كانوا خمسة جنود معهم شرطى يهودى يعرفه جيدا لأنه يسكن بجواره » واعتقد أن المؤلف اراد ان يؤكد هنا تضامن اليهود فى الجزائر وتحالفهم مع فرنسا لضرب الحركة الثورية وذلك لايمان اليهود ، ان بقاءهم فى فلسطين يكمن فى تجزئة الوطن العربى واذلال اجزائه المختلفة بكل الطرق . ومن ثم كان تعاونهم مع فرنسا فى ضرب حركة التحرير الجزائرية وما موقفهم من الجيش السرى الفرنسى وغاراته الرامية على المواطنين العرب فى الجزائر ببعيد عن اذهاننا .

وفى قصة « وجد نفسه » يصور لنا الكاتب الجزائر كلها فى شخص البطل .. فعلى سائق عربة القومندان الفرنسى – وجد نفسه – فى اللحظة التى كان فيها ضابطا فى جيش التحرير،ووقع القومندان الفرنسى وابنته أسيرين فى يديه .. لقد خاطبه القومندان برجاء واستعطاف معتذرا عما كانت تقترفه ابنته ضد « على » من مضايقات أثناء عمله كسائق ..

« انها طفلة طائشة يا حضرة الضابط » .

فعلى – هو الجزائر – والقومندان هو فرنسا – لقد بدأت فرنسا تستعطف بعد ان كانت تأمر ..

وهكذا تسير قصص المجموعة كل قصة فيها لها معنى ومضمون كبير – ففى قصة «الانسان والجبل نرى فاطمة – الفتاة الجزائرية – تحمل بندقيتها فى قلب الجبل جنبا الى جنب مع شباب الجزائر العرب .. وعلى الرغم من طبيعة الحرب القاسية فقد تلاقت العواطف والمشاعر الانسانية بين فاطمة وزميل كفاحها « رضا » **كتعبير عن المطالب الذاتية** للانسان ، فهم يحاربون ويقاسون واكثرهم يقتلون **الا انهم يحبون – بلا زخارف او تزييف وانما هو حب الجبل والطبيعة فى صورته النقية الطاهرة .**

ولنعش لحظة مع احد افراد قصة « صرخة فى الليل » عندما يسأله زميله ..

– هل أنت سعيد بما تحمل من قنابل وبارود ؟

فيرد عليه قائلا :

هذه وسيلتى الوحيدة .. اننى لست وحشا ولكنى انسان له كرامته – اننى لا أحب الحرب – ولكنى امارسها لأنه لامفر منها –انها الطريق الوحيد الذى استرد به انسانيتى ..فهل ترانى مجرما ..؟»

اما قصة الوادى الكبير وهى آخر قصص المجموعة فهى تذكرنا بقصة مولد انسان لمكسيم جوركى – فكل من القصتين تصور ولادة طفل بين جماعة تكافح الظلم والشقاء ، على ان اشتراك القصتين فى هذا الموضوع لايجعله موضوعا مكررا – فلكل منها جوها الخاص وان كانت الدلالة متقاربة فى الاثنتين وهى انتصار الحياة – وولادة الطفل هنا – وفى هذه **الظروف الصعبة ، انما تصور مولد جزائر اليوم – فقد تكون نضالها وكفاحها من ابناء شعبها مجتمعين .. من خلال الراعى .. والفلاح .. والعامل .. والمثقف. واعتقد ان وحدة العمل الوطنى خلال المعارك المسلحة ، وتشابك الافراد وتلاحمهم فى علاقاتهم الانسانية .. هو حجر الزاوية فى بناء الجزائر العربية الحرة الآن ..**

وخاصة ان اسلوب التسيير الذاتى المعمول به فى الجزائر حاليا لايمكن ان يمارسه الا شعب منظم مؤمن بنفسه وبوطنه وبامته .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

نقد في قصيدة

تحت هذا العنوان قرأت للسيد / يوسف حيمور في العدد ١٠٤٦ من الرسالة نقدا فى قصيدة « أصابع يد واحدة » للاستاذ محمد الجيار

يقول الناقد ان استعمال كلمة الحجب غير مفضل هنا ، وكان من الافضل لو استعمل كلمة الحقب لان الحقب هي التي تطوى المدى ، والحجب تحجب ولا تطوى .

ويجاب عن ذلك بأن الشاعر اراد بالحجب الغيوب ، وما ينسب الى الغيوب أقوى مما ينسب الى الحقب ولعل الشاعر رأى أن استعمال كلمة الحقب هنا استعمال سطحي لا يتناسب مع جلال الموقف فلهذا كان استعمال الحجب أعمق وأروع .

يقول الناقد في البيت الآتي :

قد عدت يا بردى فاسكب على ظمئي
نشيدك الحلو يشدو في فمي الادب

ان الفعل المضارع «يشدو» يجب ان يكون مجزوما بحذف حرف العلة الواو لانه وقع جوابا للامر .

ويلوح لى أن السيد الناقد لم يدقق في دراسة قواعد اللغة العربية فان النحاة أجازوا جزم الفعل المضارع في جواب الامر ولم يوجبوا ذلك اطلاقا مستدلين بقوله تعالى «فهب لى من لدنك وليا يرثني» فالفعل يرثني مرفوع بالضمة ولم يجزم في جواب الامر . لقد اتهم الشاعر بتحطيم اللغة في سبيل الحفاظ على الوزن مع ان السيد الناقد هو الذى خالف القاعدة النحوية التى طابقت الآية الكريمة ، وكان مشتطا فى نقده الواهي وان شاء زيادة في البيان فليرجع الى قول الشاعر العربي الذى لم يحذف حرف العلة بعد لم الجازمة :

الم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد؟

قال الناقد في البيت الآتي :

ضم الفرات ذراع النيل في وله
على ذراعك حتى هزني الطرب

ان الشاعر استعمل كلمات فى معان لا تمت لها بصلة فكان معنى هذا البيت غير متناسق . فالذراع لا تضم على الاخرى وانما تضم اليها وحرف الجر الى اوجب من حرف الجر على لان الفعل ضم معناه «جمع»

وانا اقول للسيد الناقد انا اعتبر هذا البيت بيت القصيد فان ما فيه من عمق في المعنى يثبت أنه اقوى بيت في القصيدة وأرى أن استعمال حرف الجر «على» أقوى وأعمق من استعمال حرف الجر « الى » فلو قلت : جمعنا الله على الخير لكان اقوى من قولك جمعنا الله الى الخير ثم يقول : ان الوله معناه الهيام في الشيء « وليس معناه الشوق كما يرى الشاعر » .

وانا اقول له : من قال لك ان الشاعر استعملها بمعنى الشوق ؟

ان الوله أقوى من الشوق الملتهب ولا يصدر الا عن حب عميق وشوق شديد تمكن من القلب فشغله عما سواه واللقاء في هيام أقوى من اللقاء في شوق فلذلك كان الشاعر موفقا في هذا الاستعمال البليغ

ثم يقول : « ان الشاعر استعمل كلمة الطرب في غير موضعها لان الطرب لا يكون الا بالاستماع بالأذن »

وانا أرد عليه فأقول : ان الاساليب البلاغية العربية مكونة من الاستعارات والمجازات والتشبيهات فلماذا لا يكون الشاعر استعار كلمة الطرب للفرح والبهجة ؟

عبد البارى ابو العينين يوسف

دفاع عن صاحب الموطا

كتب الاستاذ محمود الشرقاوى في عدد الرسالة رقم «١٠٤٠» مقالا تحت عنوان «الصفحة الفنية من حياة الامام مالك » ابان فيه عن ناحية هامة من حياة هذا الرائد . اذ دلنا على أن الامام كان صاحب موهبة أصيلة في الغناء ونقده . هذا الى جانب أنه كان الدعامة الكبرى في تاريخ الفكر الاسلامى ، واذا كان

لنا أن نبحث عن شيء من الدلالة وراء هذه الصفحة فان أبسط الدلالات التي تطالعنا توحي بأن الامام كان يمثل الفهم العميق الواسع لفلسفة الاسلام وأن الاسلام هو الدين الحضاري الذي أتاح للنفس الانسانية ان تأخذ نصيبها من الحياة بما يرتفع بمشاعرها واحساساتها ٠٠ وليس من شك في أن الاستاذ الشرقاوي أكد هذا المعنى بمقاله الشيق ٠٠ ولكنني أعتقد أنه وهو يلتقط هذه الصورة قد أضاف اليها من « الرتوش » بما أوشك أن يغير من معالمها، بحيث أن القارىء غير المتريث ربما يسبق الى فهمه أن الغناء كيفما كان أداؤه وتعبيره مما أقره فقهاء الاسلام ٠ وليس هذا من الصواب في شيء ، فمثلا حينما أورد الاستاذ الابيات التي غنتها « غزال » علق عليها بما يفيد أن هذا الشعر كان محل اعجاب مالك ٠٠ ولست أدري كيف قرر هذا ؟ مع أن كلمات مالك لا تحتمله ٠ اذ كل تعليقه في هذا المقام « انها لفصيحة اللهجة حسنة الغناء » أي مجرد اعجاب بالأداء وكيفية الالقاء فحسب ٠٠ أما ذاك الشعر من حيث كونه « أكثر امعانا في الترضي - أو التذلل » الخ ٠ فلا يمكن أن يكون من متناول اعجاب الفقيه العظيم ، ولو كان أعجبه لخصه بالثناء كما خص الغناء ٠٠ ولعل ما ساقه الاستاذ من خبر مالك حينما سمع مغنية المدينة وقوله تعبيرا عن اعجابه « لو غنى بهذا حول الكعبة لجاز » أقول لعل هذا يشير الى مذهبه في النقد ٠ وهو من الوضوح بالدرجة التي لا تسمح بتعليق لمعلق ٠٠ أقول هذا حرصا على أن تكون الصورة الفنية مطابقة للحقيقة ٠ ودفاعا عن صاحب الموطأ ٠

عاطف محمد عيسى - سوهاج

تأملات في أصابع يد

نشرت مجلة الرسالة الغراء في عددها ١٠٤٠ قصيدة للاستاذ محمد الجيار بعنوان (أصابع يد واحدة)

والقصيدة في هيكلها العام تنبىء عن موهبة عند الشاعر ولكنها موهبة بينها وبين التجربة التي حاول أن يعيشها مسافات وأبعاد ثم بينها وبين أصالة البناء اللغوي منحدرات وهضاب ، وكان الأجدر بالشاعر - على الاقل - أن يعالج النشاز الموسيقى الذي يقلق الاذن الشاعرة في قوله في مطلع قصيدته:

صعودا فان ذرا الميعاد تقترب
صعودا ولا تخشى شيئا اننا عرب

فالقصيدة من البحر البسيط وتفعيلاتها الموسيقية :

(مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) مرتين

مع طواعيه مستفعلن الى متفعلن بحذف الثاني الساكن وطواعية فاعلن الى فعلن بحذف الثاني الساكن ٠٠٠ والقصيدة كلها خاضعة لهذا الاصل الموسيقي ولهذه الطواعية ما عدا البيت الاول في « صعودا فان » (صعودا ولا)

وكان الاجدر بالشاعر ايضا أن يدقق النظر في قوله :

قد عدت يا بردى فاسكب على ظمئي
نشيدك الحلو يشدو في فمي الأدب

ليعلم أن الفعل (يشدو) واقع فيجواب الطلب فلماذا لم يجزم ؟ أم أنها ضرورة والضرورة تبيح المحظورة كما يقولون ؟ انني أربأ بالشاعر أن يتعلق بهذا الخيط العنكبوتي الواهن !

واذا اقتنع الشاعر بهذه الهفوة سهل عليه أن يدرك الهفوة نفسها في قوله :

(ترحب الارض بي أنى أسير بها)

(فأنى) أداة شرطية جازمة لفعلين وقد جاء فعل الشرط وهو (أسير) مضارعا غير مجزوم ولا أرى لذلك سببا لان ترحيب الارض مشروط بالسير !

وبعد ٠ فأرجو من الشاعر أي شاعر أن يغار على ممتلكاته الفكرية فيجيل فيها النظر قبل أن يعرضها في صور ٠٠٠

الاسكندرية **علي الصياد**

من شعر المتنبي لا شوقي

قرأت في البريد الأدبي من العدد ١٠٤٥ تحت عنوان رد على رد كلمة للأستاذ محمد التهامي جاء فيها :

وقد تكفل شوقي رحمه الله بالرد على هذا حين قال :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

وارجو عملا بحرية الكلمة وصراحة النقد أن تأذنوا للرسالة الغراء أن تبلغ الأديب الشاعر أن شوقي لم يقل هذا البيت - وانه من شعر المتنبي من قصيدته في مدح بدر بن عمار ومطلعها :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا
وحسن الصبر زموا لا الجمالا

والناقد البصير هو الذي يجمع الى الدقة والتحري حسن الاطلاع ٠

طلبه محمد عبده
وكيل مدرسة بور سعيد الثانوية

قصة العدد

على ما يرام

بقلم : سمير أحمد ندا

عندما غادرت تكنات الهايكستب ظهر ذلك اليوم لم أتصور أنني ساعود اليها قبل انتهـــاء أجازتى الاسبوعية ، لم تمض منها سوى بضع ساعات ، حتى الغيت فجاة فى المساء ، صدرت الى الاوامر من القيادة بضرورة التوجه الى وحدتى الساعة ستمائة صباحا ، تازم الموقف على الحدود ، أهلى لم يصدقوا ، حين ادركوا أن الحكاية جد ، بكوا ، أردت ان اقول لهم لم التحق بالكلية الحربية لأتبغدد بالبدلة الكاكى ·· بالنجمتين ، لـــكن الطبيب لايضع يده على الجرح مباشرة · هو يقترب بها منـــه رويدا رويدا ، يدور حوله دورة ، دورتين ·· ثلاث ، حتى يشعر الجريح ان حركة يده عادية ، فلا يشعر بمباغتة تفقده وعيه ان توجهت يد الطبيب الى الجرح مرة واحدة ، رحت ادور حول الموضــوع ·· انعطع نفسى ·· لم تبد منهم بادرة اطمئنان ·· تضاعف خوفهم ·· ازداد المهم ·· هم يرون اكثر من علامة خطر حمراء على طريقى الذى بدا لهم مظلما ، خاليا ·· صامتا ·· قررت ان اكف عن محاولاتى معهم ·· اعتزلتهم ·· خلوت الى نفسى على ان اقرر مصيرى ·· استطيع ان اعثر على طريقة ماتمكننى من البقاء فى القاهرة ، استطيع كذلك ان اذهب الى ارض العمليات الحربية ·· حرت احسست بلوعة مضنية ·· ليس أمرا هينا ان يدرك المرء ان مصيره انتهى اليه وحده ، بمطلق حريته ·· باختياره ، يستطيع ان يقرره ويلزم الآخرين بقراره هذا ، فكرت كثيرا · قلبت الامر على كل وجوهـــه المختلفة ، ثم قررت مع خيوط النهار الاولى ·· لمعت دموع ابى ·· حبست امى نفسها فى غرفتها ·· يصلنى نشيجها متقطعا ·· مزقنى كالسونكى ·· هى لم تفكر منذ خرجت الى الدنيا ان وليدها قد يتعرض لتجربة ربما أودت بحياته ذات يوم ، مادام يضحك ·· يبكى ·· يلقم ثدييها ·· يحرك يديه ورجليه ، كمن يسبح فى محيط واسع يراه هو بينما هى لاتراه ·

كانت سعيدة تطلق آمالها مع الغد البعيد : · تعيش مع فارسها الصغير ·· ليس من السهل اذن ان تفرط لى ·· اخذ شقيقى الاصغر ينط مزهوا ·· يجرى ·· يدق الارض برجليه ·· يضرب الحـائط بيديه ·· ان أخاه سيضرب بالمدفع ·· ربما حسبه كمدفع العيد ·· امتدت نظرات بقية اخوتى كاذرع واجفة تحتضننى فى رجاء تغلب عليه اليأس ، أخذت شقيقتى سعاد تزجر الصغير اللاهى المبسوط ·· تسرف فى ذلك شيئا فشيئا لتنسى اننى ذاهب لتهرب من الحقيقة الوشكية الوقوع ·

حلت اللحظة الحاسمة ، جفت دموع أبى ·· اراد ان يودعنى .. فقط كرجل .. انقطع نشيج امى .. حبست أنفاسها ·· كانت الأذرع الممتدة من عيون اخوتى لاتزال تحتضننى .. فى هذه المرة ابت ان تتركنى ·· تشبثت ·· الحت ·· اصرت ·· تداعى زجر سعاد لشقيقنا الاصغر ·· جمدت يداها ·· سكن صوتها ·· حاولت ان تنظر الى ·· أخفقت ·· احست بفشلها ·· اندفعت الى حجرة امى هاربة ·· نسيت انها أغلقتها على نفسها بالداخل ·· اصطدمت بالباب صدمة عنيفة كانت كطلقة مدفع مكتومة ·· ذكرتنى بحقيقة الوضع انطلقت من بينهم الى السيارة الصفراء الواقفة بالباب ·· صعدت اليها ·· حشرت نفسى بين بعض الزملاء ·

كان عددنا يربو على الثلاثين ضابطا ، ومع ذلك فشلت أنفاسنا فى تدفئة جو السيارة المقفلة علينـــا بغطاء سميك ، اعمارنا فى مجموعهـــا تتراوح بين العشرين والثانية والعشرين ، اكبرنا ســنا الصـــول عبد التواب ، جاوز الاربعين من عمره ، تنـــاثرت شعيرات بيضـاء بين شعره الاسود .. كان خالفها تبعته ·· خالف الاوامر العسكرية ·· اننا جميعـــا لم تفكر فيها ، ربما نسيناها ، ربما لم نجد مبررا لاتباعها فمن العبث أن نطلب من الجندى الذاهب الى ميدان القتال أن يراعى أصول الاتيكيت ·

راح كل منا ينظر الى الآخرين فى ضيق ، كنا كالغرباء .. مع أن معظمنا من دفعة واحدة ، لكننى رأيتهم وقد تضاعف احتمال موتهم أكثر من سائر الناس .. قانونهم الذى يوشك أن يحكمهم قريبا يا قاتل يا مقتول .. صحيح فرص الحياة متاحة لهم الا أن حظهم منها ــ دون شك ــ قليل ، هم لذلك بدون غرباء .

اشتدت البرودة عن ذى قبل مع أنه قد مضت فترة كانت تكفى ــ فيما سبق ــ لأن يدفء هذا العدد منا جو السيارة ، كما لو تشبث كل منهم بأنفاسه يخاف أن تذهب ولا ترتد الى مكانها من الصدور ، فلم أجد بدا من معانقة نفسى .. رحت أبتعد .. ابتعد ، وما لبثت أن بدت السيارة تحت ناظرى خالية ، وحدى أستطيع أن أفكر .. أرتجف ، وربما أبكى ، أما مع الآخرين فاحس كما لو كنت عاريا من دونهم جميعا .

توقفت السيارة .. رفعت غطاءها القماش .. رأيت المعسكرات كخلية نحل .. الجنود يسرعون .. يتجمعون .. تنتظمهم طوابير تتحرك .

تشحن فى اللوريات الضخمة واحدة بعد الاخرى تنطلق بهم الى هناك حيث العدو .. ظهرت النجوم على صفحة السماء السوداء ثم تساقطت عند الأفق .. برز جسم مصفر يلمع .. يضىء كل ماحولنا أشبه مايكون بأرض مهجورة موحشة معلقة فى فضاء بعيد .. الشمس ..! هى لا تعنى شيئا ذا قيمة بالنسبة لانسان قد لا تقع عيناه عليها مرة أخرى . مضت علينا أربع وعشرون ساعة منذ تحركت وحدتنا الى (أبوعجيلة) السيارات تزمجر تهتز بعنف ، فالصحراء مليئة بالمطبات ، زاخرة بالرمال الخادعة حين تطبق على السيارة ترتج . تختلج كطائر جريح ، تأخذ بعد ذلك فى مقاومتها .. أحيانا تفشل .. أحيانا أخرى تتخلص من براثنها ، على مرمى البصر يقف جبل ضخم يميل لونه الى الاحمرار .. يقوم العدو خلفه بتحركاته .. اقترب الجبــــل .. اتضحت نتوءاته .

قبيل الغروب انتشرت اللوات على رض الصحراء تزحف فى دقة ونظام .. الانفاس تحتبس .. النظرات الزائغة تستقر على الهدف .. هو يبدو كقطعة من ظلال الجبل .. بتيت على ساعة الصفر لحظات .. رفعت رأسى .. الصحراء من حولى مظلمة واسعة .. الجبل الضخم يترقب .. كل شىء يوحى بالتوتر كبالونة منفوخة الى أقصى حد .. مجرد شكة دبوس يحدث الانفجار .. يتحول الصمت الى ضجيج .. والظلام الى أضواء تلمع على فوهات البنادق .. تحمل الموت .

سرت برودة فى أوصالى .. نبتت حبات عرق على جسدى .. راحت تنزلق فوقه ببطء فتشعرنى بالحياة التى تكاد تتسرب منى بين لحظة واخرى . هو امر يوجب الأسى أن يفقد المرء شيئا عثر عليه قبل أن يتبينه . لقد بدأت قصتى مع الحياة قبـل اثنين وعشرين سنة فقط .

اجتمع نساء العيلة حول امرأة تصرخ بين الحين والآخر ، تفرغ شحنتها من الالم ، توسطت ذلك الجمع حكيمة بدينة ، رأيتها لما كبرت ، عجبت كثيرا تساءلت فى نفسى : كيف استطاعت ان تخرجنى الى دنيا الناس ؟ هى فيما يبدو تحتاج الى ونش يحركها قيل لى ذات مرة أنها خفيفة كالريشة حين يبدأ العمل الجد كما بدا لى ذلك الصباح البعيد .. اخضر شاربى .. كبر .. اتضحت شعيراته السوداء .. تكاثف تماما .. وقتها تقريبا وضعت نجمة ذهبية على كل من كتفى .. نظرت اليهما .. خف بريقهما كثيرا ، فقد تركتهما فى القاهرة مكتفيا بنجمتين من قماش أبيض تراكم غبار الطريق فوقهما ، أدرت بصرى فى السماء كانت النجوم تلمع ، هى كذلك منذ الأزل ، لم تخب ، لم تسقط ، لم تدفن فى طيات الزمن ، سرت من حولى همهمة مبهمة فنظرت الى الهــدف أمامى مرة أخرى ، تحول الى كتلة سوداء داكنة .

احسست أننى ساواجه الكتيبة المعتدية بمفردى .ان التراجع الآن أمر عسير ،بل مستحيل .. والبقاء هكذا مكانى محفوف بالمخاطر ، فالنهار سوف يطلع بعد ساعات فيفتضح أمرى . لم يبق الا ان احتمل تبعات الموقف الذى ارتضيته لنفسى . ضغطت على المدفع الرشاش ، دفعته .. وقفت على قدمى .

انطلقت فى نفس اللحظة أجسام ملتهبة من بين يدى .. اهتز الرشاش .. ارتفعت حرارته . التحمت أصوات متنافرة .. اصطكت أجسام لامعة بعضها ببعض .. تناثرت قطع اللهب من حولى .. بعضها يتدفق من خلفى والبعض الآخر يتداعى من امامى .. مر جسم منها الى جوار اذنى .. احدث طنينا عاليا .. راحت قدماى تغوصـان فى الرمال وتخرجان لتغوصا .. حسبنا لازلت أجرى ..

اشتد الصراخ من حولى ، فى هذه المرة .. امتزج بحشرجة رهيبة . .ملأ احتكاك الاجسام اللامعة اذنى لمحت مرة أخرى أحد الأجسـام الملتهبة ؛ اصطدم ببطنى لسعة أخرى .. تدفق الدم الحار بعدها .. غاصت قدماى .. لم تخرجا .. هدأ الرشاش خمد تماما .. سرت البرودة فيه .. ارتفع أنين يبدو انه صدر منى .. لف الظلام كل شيء .

وفجأة لاح بيت عن قرب .. يبدو اننى قد عدت .. انبعثت منى رائحة صبغة يود ..أثير ..كلوروفورم .. راسى ثقيلة .. عيناى ملتهبتان كأنهمـا مملوءتان بحبات رمل ناعمة .. جفونى مشدودة بأحجار .. اين انا .. ؟ أسير ؟ .. عبثا يحصلون منى على اية معلومـات .. واردت أن أتبين موقعى ، انفرجت جفونى بعد محاولات شاقة .. كانت الدموع تملأ عينى .. اخذت تتسرب منها .. صفت الرؤيا امام ناظرى ، ورأيت جدرانا بيضاء ناصعة .. أدرت بصرى .. ارتفع أنين متقطع .. كان والدى يقف على مقربة منى .. اذن فقد عدت الى البيت .. هربت . . تخليت عن اصرارى .. لم انفذ قرارى الذى سبق لى أن اتخذته .. هو يشعر بالخجل .. يكاد يختنق بالعار الذى جلبته له ، للعيلة كلها .. تحرك والدى مبتعدا .. لم اختفى . وفجأة سقطت عيناى على وجه اعرفه تماما .. الصول عبـد التواب يجلس نصف جلسة على فراش مجاور لى أراح نظراته على فى حنان ابوى .. قلت له :

ـ احنا فين يا صول عبد التواب ؟

تبين لى ان هذه الكلمات ماتت قبل ان تخرج من حلقى ، حاولت مرة أخرى ، ثالثة ، رابعة ، جاءتنى اخيرا من ناحيته كلمـات بينت لى اننى نجحت فى محاولاتى .

ـ بلاش تتكلم كتير ياحضرة الضابط علشـان النزيف . حقول لك على كل حاجة .. احنا دلوقت فى المستشفى .. فى مصر .

كانت كلماته كفتحة النور والهواء حين تنفرج الظلمة التى تطوى سجينا تحت الانقاض ، تقيـد حركته الأتربة تحبس انفاسه بقية من هواء مشبعة بغبار كثيف ، لم اهرب اذن .. لم اضعف .. سقطت فى المعركة .. وترامى الى صوتى كانما ينبعث من اعماق سحيقة واهنا متقطعا .

ـ ايه .. ايه اللى .. حصل ؟

اغمض الرجل عينيه .. زوى مابين حاجبيه .. راح يحكى ...

ـ لما قربت من الكتيبة اليهودية شعرت انى حواجه اليهود وحدى .. جريت عليهم بالرشاش .. هات ياضرب فيهم ..

لست انا فقط الذى احس بوحدته .. انطلق كل منا من داخله .. ومضى وحيدا منفردا .. ومع ذلك فقد كنا وحدة مترابطة فى المعركة ، سكت الصـول عبد التواب .. او اننى لم أعد أنصت اليه تماما .. ؟ تسلل الى سمعى صوت ضعيف يأتى من قريب هامسا :

ـ كنت زى ما اكون وحدى .. قدام كتيبة العدو ... و ...

عاد ابى مرة أخرى ، فى عينيه مسحة من هدوء البال ، لم يكن وحده ، اصطحب الجميع .. على شفتى امى ابتسامة حانية .. اخيرا خرجت من سـجنها الانفرادى بحجرتها .. راحت الأذرع الممتـدة من عيون اخوتى تحضننى فى شـوق وامل ، واجهت شقيقتى سعاد الموقف بشجاعة ، لم تهرب منه بضرب شقيقنا الاصغر الذى راح يتصفح العنبر فى دهشة انكمش .. لبد فى سعاد .. سوف يضرب الحائط بيديه .. يدق الارض برجليه .. ينط مزهوا حين أعطيه رصاصتى المدفع اللتين استقرتا فى جسـدى عندما اعود قريبا ، ويصبح كل شيء على ما يرام.

سمير احمد ندا

الدار القومية للطباعة والنشر